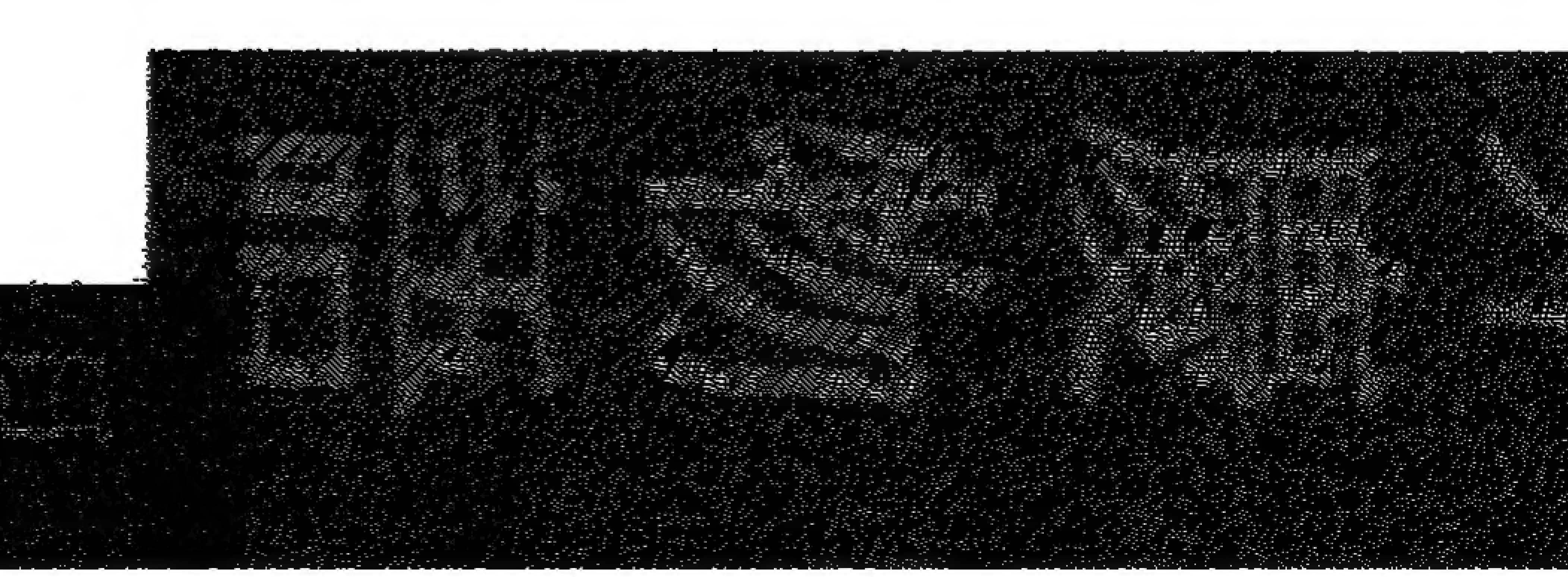
ميريت للنشر والمعلومات

سيرة شعبية يابانية

ترجمة عن اليابانية: **د. أحمد فتحى**

رواية بنكى



من أدب السيرة الشعبية اليابانية

سيــرة الراهب "بنــكى"

(THE TALE OF BENKEI)

ترجمة

د. أحمد فتحى

د. تاداشى هاسيه جاوا

ترجمة من اللغة الكلاسيكية اليابانية إلى اللغة العربية

ميريت للنشر والمعلومات

رواية "بنكى"

ترجمها عن اليابانية

الدكتور أحمد فتحى

د. تاداشى هاسيه جاوا

ميريت للنشر والمعلومات

٦ب شارع قصر النيل، القاهرة

ت: ٥٧٥١٥٠٠

mcrit56@hotmail.com

المدير العام: محمد هاشم

تصميم الغلاف:
أحمد اللباد

الطبعة الأولى: ٢٠٠١

رقم الإيداع
١٩٩٧/٢٠٠٠

مقـــدمة

روايـــة "بنـــكى"

قبل أن أتناول رواية "بنكى" اليابانية كنت أود أن ألقى قليلا من الضوء على "بنكى" الذى هو بطل الرواية.

منيت اليابان بكارثة الحرب الأهلية التي نشبت على حلقات متقطعة خلال حوالى أربعين عاما فى النصف الأخير من القرن الثانى عشر. وكانت طائفة المحاربين اليابانيين المعروفين باسم "الساموراى" هم أصحاب الأدوار الرئيسية فى تلك الحرب.
وكانت القوى المتحاربة تنقسم إلى فريقين كبيرين: فريق عشيرة الـــ "جنجى" وفريق عشيرة الـــ "هيكى"، وكانت العشيرة الأولى تلتف حول والد الامبراطور والذى كان قد اعتزل الحكم وتركه لابنه لكى يدخل في طريق الزهد والتنسك، بينما كانت العشيرة الثانية تلتف حول الامبراطور نفسه، وقد انتهت تلك الحرب بانتصار العشيرة الأولى - أى عشيرة الـــ "جنجى" وموت

الإمبراطور غرقا. وبعد تلك النتيجة نشأ كيان سياسى جديد مركزه مدينة "كاماكورا" - بقرب العاد مة الحالية "طوكيو" - يتكون من محاربى الساموراى أنفسهم. وبذلك يبدأ عصر جديد فى اليابان يصطلح عليه باسم "عصر كاماكورا". وبالرغم من قيام ذلك الكيان السياسى العسكرى الجديد فقد استمر وجود الإمبراطور فى نفس مكانه بالعاصمة القديمة "كيووتو" وهو الوجود الذي يمثل القوة الروحانية للشعب اليابانى ويرمز إلى توحد اليابان، أى أن الإمبراطور لم يعد سوى رمز ممثل لتلك المعانى بينما انتقلت السلطة الفعلية إلى أيادى الساموراى.

وقد كان "بنكى" هذا أحد أتباع القائد "ميناموتونويوشى تسونيه" الأخ الأصغر لرأس عشيرة الـ "جنجى" والذى اسمه "ميناموتونو يورى طومو" والذى أنشأ الدولة العسكرية فى "كاماكورا". ولكن كل أو أغلب المعلومات التى وصلت إلينا عن "بنكى" هذا تعتمد على نصوص تتعلق بشأنه وردت فى أعمال أدبية وفنية متعددة، ومثال على ذلك الروايات الشعبية "حكاية يوشى تسونيه" و"حكاية المجد والأفول" و"رواية بنكى" - التى نحن بصددها الآن - والأشعار الفولكلورية مثل "سفينة بنكى" واللوحات الراقصة الفلكلورية (ماى) مثل "الهروب من شيقوقو" و"البحث عن السلة" واللوحات المسرحية الاستعراضية المعروفة باسم الـ "نووه" مثل "ممر أتاكا" والمسرح اليابانى التقليدى المعروف باسم "كابوكى" مثل "دفتر هبات المعبد" وغيرها. أى أننا نستطيع التعرف على شخصية "بنكى" من خلال الحكايات التى وردت عنه فى العديد من الأعمال الأدبية والفنية الشعبية فى الوقت الذى تكاد تنعدم فيه

المصادر التاريخية التى تحدثنا بشأنه.

والمصدر التاريخى الو. يد الذى يمكننا الرجوع إليه للتحقق من وجود "بنكى" الفعلى هو مخطوط "مراة أزوما" الذى هو عبارة عن تسجيل رسمى لتاريخ دولة "كاماكورا"، وهو التسجيل الذى يغطى تلك الفترة التى استمرت من ١١٨٠ حتى ١٢٦٦م. وقد ورد اسم "بنكى" فى فقرتين منفصلتين، الفقرة الأولى ورد فيها اسم "بنكى" على أنه واحد من مائتين من التابعين لـــ "يوشى تسونيه" الذين رحلوا معه متوجهين إلى "كيووشوو" بعد أن بلغ الإعياء منهم كل مبلغ وهم يهربون من مدينة "كيووتو" العاصمة دون أن يجدوا حتى وقتا لتحية والد الامبراطور الذى كانوا ينحازون له، وذلك بعد حدوث وشاية أدت إلى أن يأمر الأخ الأكبر "يورى طومو" أتباعه بالقبض على "يوشى تسونيه" حيا أو ميتا. أما الفقرة الثانية فهى التى تحكى ركوب "يوشى تسونيه" مع أتباعه سفينة خرج بها من شاطئ "أووموطسو" وانقلاب تلك السفينة بعد أبحارها مباشرة وتشتت الجميع حتى لم يبق مع "يوشى تسونيه" سوى أربعة من الاتباع منهم ورد اسم "بنكى".

أما ما عدا ذلك من المصادر التاريخية فلم يتم العثور على اسم "بنكى". ويلاحظ هنا أنه لم يرد سوى ذكر الاسم فقط.. أى أنه لم يكن هناك أى وصف لملامح وجهه أو هيئته. ولكننا فى نفس الوقت نستطيع التعرف على تلك الملامح وتلك الهيئة من خلال العديد من الأعمال الأدبية والفنية الشعبية، ولعل أكثر التفصيلات قد نستطيع أن نجدها فى "رواية بنكى"، والتى منها ذلك الوصف الذى ورد معبرا إجمالا عن شكله ويقول: "لقد ورد إلى مسامعى

أن هذين الرجلين يخرجان فى الليل إلى طرقات مدينة "كيوتو" فيعربدان ويؤذيان الخلق أحدهما ضئيل البنية أبيض البشرة وهو "يوشى تسونيه" أما الآخر فهو أسود البشرة ضخم الجثة وهو ذلك الراهب المدعو "بنكى".

من الوصف السابق الذى ورد بالرواية نستطيع أن نلمس الاختلافات المتضادة بين كل من "يوشى تسونيه" و"بنكى" فمن حيث البنية سنجد "بنكى" طويل القامة ضخم الجثة مفتول العضلات، فى نفس الوقت الذى نجد فيه على النقيض "يوشى تسونيه" يوصف بأنه قصير القامة ضئيل الجسم. ومن ناحية لون البشرة سنجد "بنكى" أسود البشرة فى نفس الوقت الذى ينعت فيه "يوشى تسونيه" ببياض البشرة وجمال الملامح. ويعتقد أن المبالغة فى وصف ضخامة وقوة وشراسة "بنكى" فى نفس الوقت الذى وصف فيه جسم "يوشى تسونيه" بالصغر، يعتقد أنها جاءت تمهيدا لمشهد الصراع بين الاثنين فى معبد "كيوميزو" وجسر "جوجووهاشى" وانتصار "يوشى تسونيه" - الأقل حجما والأضعف جسما - وهو التمهيد الذى كان عاملا هاما فى إظهار "يوشى تسونيه" فى صورة البطل. بتعبير اخر كان الوصف المبالغ فيه لقوة وشراسة "بنكى" عاملا إيجابيا هاما لإظهار صورة البطل "القوى" لـ "يوشى تسونيه". أما تعمد وصف "بنكى" بسواد البشرة ودمامة الوجه فقد كان ذلك محسوبا من أجل إبراز النقيض وهو لون البشرة الأبيض وجمال الملامح لبطل عشيرة الـ "جنجى"، أو بتعبير اخر لإظهار صورة البطل "الوسيم" لـ "يوشى تسونيه". واعتقد أن هذا النمط فى الوصف بطريقة إظهار التابع

أو المسود في شكل على النقيض تماما من المتبوع أو السيد ليس بغريب على القارئ العربي، حيث نستطيع التعرف على صورة مشابهة في الملحمة الشعبية "سيرة الملك الظاهر بيبرس" حيث نجد الأمير بيبرس الذي لم يكن قد بلغ العشرين من عمره - والذي كان أبيض البشرة جميل الملامح - يخضع "عثمان الحبلي" كبير السياس بناحية "الرميلة" بالقاهرة ويجعله تابعا له بعد أن يتعاهدا معا على الوفاء وذلك أمام ضريح السيدة زينب، وقد كان عثمان هذا حسب الوصف في السيرة سيئ الأخلاق مفتريا جبارا وكان يساعده على ذلك ضخامة جثته وقوة عضلاته وشكل وجهه المخيف.

وكما يظهر من عنوان رواية "بنكي" فإن بطل الرواية هو "بنكي" التابع المسود، وهي رواية يعتقد أنها تبلورت في أثناء عصر "موروماتشي" (١٣٣٦-١٥٧٣م)، هذا وقد ظهر خلال نفس العصر حكايات شعبية أخرى استقت منابعها من نفس الرواية مثل: "بنكي الحالق شعر رأسه" و"جسر بنكي"، وكل من الروايتين تعتمد في أصلها على مخطوط واحد فقط، ويعتقد أن الحكاية الشعبية التي كانت أكثر انتشارا خصوصا في عصري "موروماتشي" و"أيدو" (١٦٠٣-١٨٦٧م) هي رواية "حكاية بنكي" التي نحن بصددها الان. والمخطوط الذي كانت على أساسه هذه الترجمة هو مخطوط لنفس الرواية بعنوان: "المخطوط القديم" لـــ "كينتشووكيوو" بدار المحفوظات التذكارية "داي طووكيوو"، وقد تمت الاستعانة بمخطوط آخر لنفس الرواية اسمه: "المخطوط الكامل لسنة ٤ عصر كيي أن "المحفوظ بالمكتبة الوطنية" في

الأجزاء التى لوحظ وجود تلفيات بها أثرت على ما هو مكتوب.

سجلت هذه الرواية الأحداث التى بدأت بظروف مولد "موساشى بووه بنكى" حتى رحيله تحت امرأة "يوشى تسونيه" إلى بلاد "أووشووه" بالشمال. وقد وصف "بنكى" خلال الرواية بأنه إنسان هجومى محب للاعتداء وقوى وشجاع وأنه كان كثيرا ما يتلذذ حين يقوم بأذية غيره.

ملخص لـ "رواية بنكى":

وقد ورد بالرواية أن أباه كان رجلا ذا منصب دينى رفيع بمعبد "قومانو" الكبير غرب اليابان، وإن ذلك الأب قد رزق بابنه - الذى هو "بنكى" - بعد طول انتظار وذلك بعد أن لجأ أخيرا إلى الاله "نياكوايتشى" لكى يباركه ويمنحه طفلا. ولكن وكأنما الريح قد جاءت بما لا تشتهيه السفن.. فقد جاء المولود المنتظر إلى الدنيا دميم الوجه ... أسنانه كلها حتى الضروس نابتة، وشعره طويل يصل إلى الكتفين وذلك بعد أن حملته أمه ٣٩ شهرا كاملة، وفوق ذلك ومع كونه طفلا رضيعا غير أن شراسته وميوله العدوانية جعلت الأب يكرهه ويصل إلى أن يأمر بإلقائه فى مكان قفر وسط الجبال، ولكن رجلا من رجال البلاط الامبراطورى التقط الطفل العجيب وأسماه "نياكوايتشى" وأحاطه بالحب والعطف والرعاية.

وحينما بلغ سنه سبع سنوات أرسله أبوه بالتبنى إلى معبد جبل "هييه زان" لكى يتلقى تعاليم الدين البوذى ولكى يعيش عيشة خشنة صعبة يصلب فيها عودة ويتعود طاعة الأوامر، وقد تولى

الإشراف على تعليمه المعلم الديني "كيشين". ولكن لما ازدادت تعديات "نياكوايتشي" - الذي هو "بنكي" نفسه - على زملائه وظهرت رعونته طفح الكيل بمعلمه "كيشين" واضطر لطرده من الجبل إرضاء لرهبان الجبل كلهم.

وبعد أن طرد "نياكوايتشي" من الجبل قام بحلاقة شعر رأسه تماما، ثم أطلق على نفسه اسم "موساشي بووه بنكي". ثم ذهب بعد ذلك إلى العاصمة "كيووتو" حيث احتال على ثلاثة من الرجال وهم حداد منطقة "سان جووه" واسمه "مونيه تشيكا"، وموظف بلاط القصر المقيم في منطقة "جوجووه" واسمه "كيتشي ناى" وأخيرا موظف بلاط القصر المقيم في منطقة "شيتيي جووه هوريكاوا" واسمه "شيرووه زائيه مون"، حيث أخذ منهم سيوفا ودروعا ولم يدفع ثمنها. وعلى الجانب الاخر فقد ذهب إلى منزل أحد الأشراف الأغنياء واسمه "يوكيهارو" وأرغمه على أن يعطيه ملابسه ومتعلقاته، ولكنه فيما بعد قام على النقيض بعمل شهم تجاه ذلك الشريف حيث شتت اللصوص الذين هاجموا قصره وأصبح بذلك "يوكيهارو" مدينا لـ "بنكي" بالجميل.

وبعد ذلك اتجه "بنكي" إلى طريق الساحل الشمالي الموازي لبحر اليابان وهو الطريق المعروف باسم "هو كوريكود ووه" باحثا عن المتاعب وراغبا في العراك مع الخلق، وقد حدث له ما أراد حيث تشاجر مع نساك المسلحين التابعين لمعبد "هيسن جي"، ثم ذهب بعد ذلك إلى المنطقة الغربية من اليابان وصمد جبل "شوشا" وتعارك مع الرهبان وانتهى الأمر إلى أن احترق معبد ذلك الجبل بسببه.

وهكذا فحين بلغ الأمر مسامع البلاط الإمبراطورى أمر الإمبراطور بالإسراع فى إعادة بناء المعبد من جديد وقد أحس "بنكى" بمسئوليته عما حدث، فقرر بينه وبين نفسه أن يجمع ألف سيف بالقوة رغما عن أصحابها ثم يبيعها لكى يشترى القائمون على أمر المعبد بثمنها الأخشاب والمسامير اللازمة لإعادة البناء. ولذلك فقد دخل العاصمة "كيووتو" وأخذ يخطف السيوف من جنود ونبلاء عشيرة الـ "هيكى" حتى وصل عدد ما جمعه من السيوف إلى تسعمائة وتسعة وتسعين سيفا. وهنا راودت "بنكى" الرغبة فى أن يكون ختام الأمر مسكا فيكمل العدد الألف بأكثر السيوف شهرة وقيمة وهو سيف "يوشى تسونيه" بطل عشيرة الـ "جنجى".

وقد التقى الاثنان بالفعل مرتين جرى خلالهما صراع ومنازلة بالسيوف والخناجر، وقد انتهى الأمر بهزيمة "بنكى" عند جسر "جوجووه" وبعقده عهد التبعية والإخلاص لـ "يوشى تسونيه". فى ذلك الوقت كان عمر "بنكى" ستة وعشرين عاما بينما لم يكن "يوشى تسونيه" قد تعدى التاسعة عشرة من عمره.

بهذا اتفق الاثنان على أن يضعا نهاية لوجود عشيرة الـ "هيكى" على أياديهما. وحين وصلت تلك الأنباء إلى مسامع "كيومورى" زعيم عشيرة الـ "هيكى" أصيب بالقلق والأرق ولم يعد يغمض له جفن. وقد وصل به تفكيره إلى أن يرسل رجاله للقبض على "كيشين" معلم "بنكى" السابق لكى يرغم "بنكى" على الحضور بقدميه إلى قصره لكى يخلص معلمه من أسره ومن الموت الذى ينتظره.

كان "يوشى تسونيه" و"بنكى" يختبئان وقتها فى منطقة "كيتاشيراكاوا" بأطراف العاصمة. وقد سارع "بنكى" بالذهاب إلى قصر زعيم عشيرة الـ "هيكى" مغامرا بحياته حين سمع بأمر احتجاز معلمه "كيشين" كرهينة.

وقد قام الجنود بتقييده داخل حديقة القصر، إلا أنه سخر من "كيوموري" زعيم العشيرة أمام رجاله، فغضب منه "كيوموري" غضبا شديدا وأمر بتعذيبه لكى يفصح عن المكان الذى يختبئ به "يوشى تسونيه". ولكن رجل البلاط "كيتشى ناى" الذى وقع يوما ما ضحية احتيال "بنكى" اقترح على سيدة "كيوموري" أن يقوم باستدراج "بنكى" بالحيلة واللين والخديعة لكى يحصل منه على الاعتراف، ولكن خطة "كيتشى ناى" لم تنجح، بل إن الأمر انتهى بأن استهزأ "بنكى" بأمر "كيتشى ناى". ولما فاض الكيل بـ "كيوموري" أمر بقطع رقبة "بنكى" فى الطريق العام بمنطقة "روكوجووه جاوارا"، فتطوع "كيتشى ناى" لكى يقوم بمهمة السياف لكى يشفى غليله بنفسه. ولكن "بنكى" استطاع أن يفك قيوده ويثير الفوضى والاضطراب بالمكان ثم يهرب. وبعد أن هرب "بنكى" توجه من فوره إلى مكان سيدة "يوشى تسونيه" ثم يرافقه فى رحلة الهروب الحزينة إلى الشمال فى بلاد "أووشووه" حيث يوجد الكثير من الأنصار.

رواية بنكى
سيرة شعبية يابانية

الجزء الأول
حكاية مولد "بنكى"

إذا دمدم التنين أظلمت السماء من السحب وإذا زأر النمر عصفت الريح وصفرت، وهذا مثال للراهب "موساشى بووه بنكى" الذى كان ينشب بسببه شجار أو معركة حتما فى أى مكان يحل به.

والمدعو "بنكى" هذا فى الأصل هو ابن أحد الرهبان الإداريين بمعبد "قومانو" - وهو من أقدم المعابد الموجودة فى اليابان بمقاطعة "كيشوو" - وهو الراهب الذى كان يسمى"بنشين" والذى لم يرزق بأطفال حتى بلغ سن الأربعين، وقد حزن هو وزوجته حزنا شديدا لعدم استطاعتهما الإنجاب. ولما كان فى شوق إلى أن يرزق بطفل فقد توجه إلى الاله "نياكو أووجى" كبير آلهة معبد "قومانو" لكى يباركه ويرزقه بطفل.

وكأنما قد تعاطف الاله "نياكو أووجى" مع "بنشين" ورثى لحالة

فقد رأت زوجة "بنشين" فى حلمها أنها تتلقى هدية عبارة عن ريشة حدأة، وبعد هذا المنام حنت البركة وحملت الزوجة.

وقد مرت الزوجة بمرحلة آلام الشهر التاسع وحل الشهر العاشر دون أن تضع، وعلى هذا الحال مرت الشهور والسنين حتى جاءت السنة الثالثة والشهر الثالث فوضعت الزوجة أخيرا حملها.

كان شعره طويلا منسدلا يغطى رقبته وعيونه تشبه عيون النمر وضروسه وقواطعه العلوية والسفلية نامية مكتملة وساقاه وذراعاه كانت تبدو قوية ومفتولة.

وفجأة استند الطفل المولود لتوه على عضديه ونهض من فراشه وأخذ يلتفت اليمنى واليسرى محدقا فيما حوله وهو يقول "ياه ياله من نور مبهر" ثم أخذ يقهقه بصوت عال.

حين رأى الأب "بنشين" هذا الحال قال "رجوت الآلهة أن تمنحنى طفلا مستحيل المنال فوهبتنى ابن شيطان" ثم استل سيفه من جرابه ورفعه فى الهواء مزمعا قتل الوليد. ومن فضل الالهة التى وهبت النساء عاطفة الأمومة فقد تشبثت زوجة "بنشين" بكم معطفه تستعطفه قائلة: "لقد ظل "روشى" بالصين فى بطن أمه ٧٠ عاما وولد وشعر لحيته أبيض، فما بالك بطفلنا الذى لم يظل بالرحم سوى ثلاث سنوات، أنه بشعره الطويل ذات مازال مقبولا ومنطقيا. ثم من أين كان لنا أن نعلم بأى طريقة كان سيولد من بين أشكال الولادة الأربعة ذلك وفى أى عالم كان سيولد من بين

العوالم الستة[1] ؟ وأنى كان لنا أن نعلم أنه كان سيولد في سن الثالثة؟

لقد ولد بطريق المصادفة في صورة إنسان وها أنت تريد أن تذبحه بسيفك وترسله إلى عالم الموت دون حتى أن تمنحه فرصة رؤية نور الشمس أو القمر. وأن فعلك هذا لجور وافتراء، كيف يصير أن تضرع إلى الالهة وتتوسل لها حين تفتقر إليه ثم تحاول أن تقتله حين يكون بين يديك. ليكن في حسابك أن وراء مشيئة الآلهة "نياكو أووجى" حكمة ما نحن لا نعلمها.

فلنترك مصيره للقدر ولتلق به في الجبل فلو أرادت له الالهة أن يعيش فسوف يعيش وأن لم ترد فسوف يموت". وأمام كلمات الزوجة اقتنع الزوج ووافق على رأيها فأرسل الرضيع مع الخدم إلى أعماق الجبل فالقوة هناك.

قال "بنشين" لاتباعه بعد أن مر أسبوع "اذهبوا لرؤيته فإذا كانت النمور والضباع رحيمة به فربما تكون قد أكلته وإذا وجدتم جثته سليمة فلتصلوا عليه كي ترحمه الألهة في الاخرة". ولكن حين ذهب الخدم إلى بطن الجبل لم يكن الأمر كما قاله لهم سيدهم، فقد كان الوليد هناك تحت شجرة لا يصيبه المطر ولا الندى يلملم الثمار ويلتهمها في نهم ويصول ويجول كما يحلو له فلم يكن هناك من يلومه أو يردعه.

وحين لمح "بنكى" الجند قال لهم: "من أنتم.. هل جئتم لتأخذوني

(١) من الفكر البوذى. تنتقل الروح إلى الأجسام المختلفة، وحين يولد الجسد يظهر في أربعة أشكال منها شكل البشر، وقد يولد الجسد يظهر في أربعة أشكال منها شكل البشر، وقد يولد الجسد في أى من العوالم الستة والتى منها عالم البشر الذى نعيشه على وجه الأرض.

من هنا" ؟ بمجرد أن سمع الخدم صوت "بنكى" دب فيهم الرعب والارتباك ولاذوا بالفرار فى كل اتجاه يحاولون الهرب والنجاة فمازالوا كذلك من فرح بالنجاة بالأعمار حتى وصلوا إلى البلد والعمار وقصر سيدهم "بنشين" المختار.

أخذ الخدم يحاولون التقاط أنفاسهم ويمسحون عرقهم ولم يستطيعوا الكلام لفترة حتى بادرهم "بنشين" متسائلا: "ماذا دهاكم" فقالوا "شيء له العجب يا سيدى هناك شيطان يسكن ذلك الجبل خرج علينا وحاول أن يلتهمنا ويفتك بنا فنجونا باعمارنا فى اخر لحظة ووصلنا بسلام إلى هنا" وحين سمع بنشين كلام الخدم قال: "انه أمر ليس بالهين.. لقد كنت على وشك أن أقتله فكبحت جماح نفسى على مضض وأنقذته وأبقيت على حياته.. ومع ذلك فلن أجنى شيئا الآن من وراء الندم".

ومنذ ذلك الوقت لم يجرؤ إنسان على أن يطأ ذلك الجبل، وكان "بنكى" هذا كان ابنا للاله "نياكو أووجى" فقد صارت النمور والضباع والذئاب تحميه بدلا من أن تفتك به وتلتهمه.

ومر على هذا الحال ٣٧ يوما. وكان هناك فى المربع الخامس (جوجوو) من العاصمة "كيوتو" نائب لوزير الميمنة (رايناجون) كان يندب حظه لأنه لم ينعم بالذرية وكان يشعر بالحسرة لإحساسه بقربه من الموت فذهب إلى محراب الاله "نياكو أووجى" وصلى هناك فإذا به بعد اكتمال أسبوع من تلك الصلاة وفى الفجر يرى مناما يظهر له فيه الاله.

ويقول له: "فى أحد أطراف هذا الجبل سليل لى ألقوه وتركوه، فأنقذه وتول تربيته وهو وأن قبيح المنظر فسوف يشفع لك بعد

الموت". بعد أن أفاق الرجل من الحلم لم يصبر على الانتظارحتى الصباح فأرسل الكثير من اتباعه إلى الجبل فأخذوا يبحثون ويفتشون هنا وهناك حتى وصلوا إلى طفل صغير فقالوا: "هذا هو الطفل الذى جاء لسيدنا فى المنام" ثم حملوه على الفور على المحفة وعادوا إلى منزل النائب.

كانت عينا الطفل قبيحتى الشكل ولكنهما كانتا واضحتين، ولم يكن يبدو من شكله أنه مجرد طفل عادى.

كانت فرحة النائب به غامرة وقد أسماه "نياكو ايتشى" وصار يدلله ويغدق عليه من حنانه دون حدود.

حكاية شغب
وخناقات "بنكى" فى جبل "هييه"

وقد مر على هذا الحال زمن حتى صار الولد فى ربيعه السابع فأرسلوه إلى جبل "هييه زان" عند المعلم الدينى "كيشين"، ومع صغره فى السن فالأمر الذى يسمع به يستوعبه عشر مرات عن عداه من البشر وكان إذا أمسك بالريشة أبدع فى الكتابة ولم يكن نبوغه متوقفا على علوم القراءة والكتابة فقط فقد كان يخرج أحيانا عن تركيزه فى تلك الأمور الجادة ليدخل فى عالم الشعر والموسيقى وهى الفنون التى برع فيها كذلك حاز على سمعة كبيرة وصيت ذائع فى مجال مجالس الخمر والرقص.

ولكن كان هناك أمر غريب، فغنى عن الذكر ما يتعلق بأمر لعب الكرة فكان حين تغيب الشمس يخرج إلى ساحة المعبد ويسير على حصاها الأبيض ثم يشمر قميصه ويرفع طرف تنورته إلى أعلى ثم يبدأ الجرى والقفز هنا وهناك ويختبر قواه،

وكانت الرماية بالسهم لعبته الدائمة وكان ينزع السيف العريض والسيف ذا المقبض الطويل من غمديهما فيطعن إلى الأمام ويسحب إلى الخلف ويرشق السيف وينزعه ويستعرض العديد من مهارات القتال.

ولم يكن هناك من رفاقه الصبية من كان يجرؤ على الاحتكاك به أو العراك معه.

وفى يوم من الأيام استدعى "بنكى" أحد الحدادين وجعله يشكل له عصا طولها قدم وعقلتان من الحديد ثمانية الإضلاع وبطول حافة كل ضلع من تلك الإضلاع الثمانية جعله يثبت بها أنصالا حادة ويدهنها باللاكيه الأسود ويحفر على العصا حفرا صغيرة كحلية اللون على شكل (السمبوكسة) بحواف مدببة، أما على مقبض العصا فقد جعله يلف شريطا من الجلد لفتين فوق بعضهما (مثل الضفيرة) وقد جعل يضع العصا تحت ابطه ويسب ويلكز بالعصا من يصادفه فى طريقة فلم يسلم من بطشه صغير ولا عجوز.

فى بداية الأمر كان الرهبان يتحملونه من أجل خاطر أبيه النائب ومن أجل معلمه، ولكن حين تكررت مضايقاته طفح بهم الكيل فذهبوا جميعا للراهب المعلم "كيشين" وشكوا له فعال "بنكى" قائلين: "حين صعد المعلم الأكبر سايتوو جبل "هييه زان" كان أول من قابلة طفل صغير وبعد ذلك التقى بالآله "سانتوو" ولذلك فمن الأولى العناية بالصغار وتدليلهم حتى يصيروا بالغين فيكرسوا أنفسهم لدراسة العلم واللاهوت وممارسة الشعائر البوذية الشنتوية والتجاوب مع هذا وذاك من الأمور حتى يصير

محمودا ومحترما ومع هذا فذلك الصبى على العكس فقد تمادى فى عبثه، ودعنا من ذكر ما فعله بفرسان المعبد. فهو حتى مع صبية المعبد وغيرهم من الأطفال الصغار قد تمادى وافترى.

ولما كان قد أحدث جروحا (بالغة) لأطفال لم يكونوا قد ولدوا بها فقد تظلم أهالى الأطفال تظلما شديدا ولن يكون هناك من يرسل أطفاله من الان فصاعدا إلى الجبل حتى وإن كان له شغف به.

أننا نشعر بالأسى ونحن نشكو "نياكو اينتشى" هكذا كلنا مجتمعين، ولكننا نرجو منك معالجة الأمر بطريقة أو بأخرى".

وقد رد "كيشين" على الجميع قائلا: "لقد فهمت شكواكم أيها الجمع وليس عليكم لوم ويجب إرسال ذلك الصبى إلى أبيه بطريقة أو بأخرى".

وبعد ذلك عندما شرع (الرهبان) فى إعلان "نياكو اينتشى" بقرار المعلم "كيشين" فوجئوا بـــ "نياكو اينتشى" يزغر بعينيه الكبيرتين فى وجه كل من يراه وتبرز عظام وجنتيه وتنفر عروقه ويكز على أسنانه ويكشر عن انيابه فلم يجرؤ حتى المعلم على الاقتراب منه.

وصار الأمر على هذا الحال لبعض الوقت حتى هدأ "نياكو اينتشى" أخيرا وبدأ يسرد عليهم بعض حكايات البطولة والفروسية ثم قال له المعلم "كيشين" بعد ذلك "أنك صبى ذكى متفوق فى كل الأشياء والأمور وعلمك يغطى ما يتعلق بأمور هذه الدنيا وحتى أمور العالم الاخر، ومع ذلك فهاهم رهبان المعبد كلهم يشكون منك من أمور كثيرة.. ولهذا السبب فيجب عليك لفترة مؤقتة أن

تختفى فى مكان ما بعيد عن الجبل حتى يهدأ الرهبان ثم تحكم بعد ذلك على الأمور وتتصرف حسبما تشاء"، وهنا أدرك "نياكو ايتشى" بأنه مكروه وغير مرغوب فيه فاضمر فى قرارة نفسه أن يخيف معلمه فتعمد أن يبرز عظام وجنتيه وأن يجعل عينيه حمراوين يتطاير منهما الشرار وقال: "ماذا.. هل تسخر من ذكائى ألست ذكيا بالفعل. فسر معنى ما قلته".

إحمر وجه "كيشين" حين سمع كلمات "نياكو ايتشى" ولكن الأخير ما لبث أن غير فكره وقال لمعلمه "كان على من البداية أن تحمل تبعة ما اقترفته من مساوئ، ولكن لا عائد هنا من وراء القيل والقال وداعا أيها الراهب" ثم بعد تفكير أزمع "نياكو ايتشى" فى قرارة نفسه أن يعتزل مخالطة العباد وأن يصعد الجبل ويحلق شعر رأسه تماما ويعيش هناك لفترة من الزمن يفكر بعمق وأن تركه للمعبد وتحوله إلى مظهر شخص عادى ليس ما ينشده وأنه مهما طرد من المعبد الذى كان به فمصيره مرة أخرى إلى نفس المعبد ولن يستطيع اللجوء إلى غيره كذلك فكر "نياكو ايتشى" كالتالى "إذا فكرت فى الأمور جيدا ساجد أن من أعمل حسابا لهم فى اليابان هم ثلاثة فقط: أى "بنشين" الذى هو أبى الفعلى مهما تركنى أو تخلى عنى ثم أبى الروحى الذى ربانى وهو النائب "داى ناجون" ثم معلمى" كيشين" الذى يساوى كل حرف علمه لى وزنه ألف عملة ذهبية. ولكنى إذا طلبت من أحد أن يحلق لى شعرى فيجب على ذلك الوقت أن احترم ذلك الشخص وارفعه رتبة المعلم.. وهذا أمر أحس بصعوبته" وهنا فرق "نياكو ثى" شعره من المنتصف وشرع فى حلاقته بنفسه.

حكاية حلاقة "بنكى" لشعر رأسه وقيامه بطقوس التزام الحدود

أخيرا قرر "نياكو ايتشى" "بنكى" أن يلتزم بالحدود الدينية فعقد رحاله متوجها إلى منصة الالتزام بالحدود (كايدان). حين اقترب "نياكو ايتشى" من المنصة لمحة الراهب الكبير الذى يتولى رعاية المكان فأصابه الذعر وصاح قائلا: "ها هو ذلك المدعو "نياكو ايتشى" يقترب قادما من هناك، أنه لم يمض على طرده من الجبل سوى القليل وها هو ذا يبدو من مظهره وكأنه قد تحول بين يوم وليلة إلى ناسك زاهد، ياللمصيبة.. إذا لمحنى ذلك الرجل فسوف يحدث ما لا يحمد عقباه... فلأختبئ هناك".

وأوصد الراهب الباب وأغلقه بالمزلاج ولاذ بالفرار، وحين وصل "نياكو ايتشى" صاح قائلا: "افتحوا الباب"، ولكن أحدا لم يرد له جوابا.. فغضب وصاح متوعدا "ويلكم من سلوككم البغيض هذا، فلأدق أعناقكم أيها الأوغاد واحدا بعد الاخر، ولكن،

ولكن.. اه لن استطيع أن أفعلها لو التزمت بحد عدم القتل.. ومع ذلك سوف القنكم درسا إذا لم تفتحوا لى البوابة" ولم يطل "نياكو ايتشى" كثيرا بعد أن أنهى جملته حتى هجم على الباب فدفعه بجسمه وحطمه واندفع إلى داخل المعبد وتلفت هنا وهناك ولكنه لم يجد أحدا.

وهنا بدأ "نياكو ايتشى" يطوف حول منصة الإلتزام بالحدود الدينية وهو يتلو نصوصا من الكتاب البوذى، وهى تلك المنصة التى لم يكن يسمح لأى إنسان عادى بأن يقترب منها. وقد قال "نياكو ايتشى" موجها كلامه إلى "بوذا" "إذا كان على أن أختار لنفسى اسما فليكن ذلك فى حضوركم وعلى مسمع ومرأى منكم. لقد كان الامبراطور نفسه واحدا من جدودى الأقربين، وقرابتى ببعض الوزراء أيضا ليست بالبعيدة.. ولذلك فقد يجوز أن يطلق على "الراهب الأمير" أو قد يجوز أيضا أن يطلق على "الراهب المرخص له بدخول البلاط الامبراطورى"، وهذه الأسماء أيضا أسماء جديدة.. ولكنى وددت أن اخذ المقطع "بن" من اسم والدى الذى يُدعى "موساشى" بووه - بنشين" ثم المقطع "كى" من اسم أستاذى ومعلمى "كيشين" وأجمع المقطعين ليصيرا كلمة واحدة وهى "بنكى" فيصير اسمى بالكامل "راهب المعبد الغربى موساشى بووه - بنكى". وقد صاح بنكى مناديا اسمه ثلاث مرات ثم رد على نفسه مكررا الاسم ثلاث مرات أخرى.

ثم حدث "نياكو ايتشى" نفسه قائلا: "فلأعقد العهد أمام "بوذا" على أن ألتزم بالحدود الخمسة التى هى: عدم القتل وعدم السرقة وعدم الزنا وعدم الكذب وعدم شرب الخمر، ولكن ترى هل

ساستطيع بالفعل أن التزم بتلك الحدود" ثم أجاب على نفسه قائلا "مثلا أولا بالنسبة لحد عدم القتل فهو عدم أزهاق أرواح المخلوقات، أنه مبدأ محمود ولكن أنى لى أن أصبر على عدم قتل رجل دنئ بغيض... عفوا يا سيدى "بوذا" أغفر لى عدم استطاعتى أن التزم بهذا الحد. أما بالنسبة للحد الثانى فهو يقضى بعدم السرقة.. وكيف يمكن لـ "بنكى" أن يمد يده إلى ممتلكات الغير؟ أنه بالطبع أمر غير معقول.. وأنى لأتعهد بالحفاظ على هذا الحد. والحد الثالث هو عدم اقتراف الزنا.. وهو ألا يقرب الرجل امرأة محرمة عليه، وأنى لى أن أخرق هذا الحد وأنا واحد من رهبان معبد الجبل (هييه زان)؟ أننى أتعهد بالالتزام بهذا الحد. والحد الرابع وهو عدم الكذب لن أستطيع التعهد بالالتزام به حيث أننى طالما كنت أنوى القتل فلن يكون هناك غنى عن الكذب. أما الحد الأخير وهو عدم شرب الخمر أنا أؤمن به وأؤيده حيث أن المرء يصعب عليه أن يركز مشاعره وخيالاته وهو يمارس طقوس التأمل فى نفس الوقت الذى يكون فيه مخمورا، ومع ذلك فلست أثق فى قدرتى على مقاومة إغراء الخمر.. ولهذا السبب لن أستطيع أن أعد بالتزام هذا الحد، وبذلك لن أتعهد بالتزام ثلاثة من بين الحدود الخمسة فتقبل منى يا سيدى بوذا وبعد ذلك رد "نياكو ايتشى" (بنكى) على نفسه قائلا: "حسنا لقد التزمت بالحدود" ثم واصل "نياكو ايتشى" دعواته وصلواته.

حكاية شحاذة "بنكى"
لعباءة الراهب العجوز

بعد مسيرة ألف متر تقريبا صادف "بنكى" فى طريقه راهبا يعمل كاتبا بأحد معابد بلاد "هووكى" - الجزء الأوسط من محافظة "توتورى" حاليا - واسمه "شونكاى"، وكان يبدو ذلك الراهب العجوز فى الستين تقريبا من عمره يرتدى ثوبا منسوجا بالخيوط الطويلة الحريرية وعلى كتفه كان يضع عباءة حريرية أيضا من أرقى أنواع العباءات وكان يتكئ على سيف ذى مقبض طويل.

وقد اقترب "بنكى" من الراهب العجوز وجذبه من كم ثوبه وقال له: "ربما تكون قد سمعت بأمرى من قبل، بالطبع قد تكون رؤيتك لى للمرة الأولى.. حسنا أنا "نياكو اينتشى مارو" فتوة جبل "هييه زان" وحاليا اعتزلت عالم الناس وصرت ناسكا وأسميت نفسى "راهب المعبد الغربى موساشى بووه - بنكى". حقا لقد صرت

راهبا ولكن كلا من أبى ومعلمى قد تخليا عنى وألقيا بى ولم يعد معى ولا ثوب واحد، وما يجب عمله الآن هو أن آخذ ثوبك هذا".
حين سمع "شونكاى" كلام "بنكى" هذا تعجب وقال: "ما هذا. لا أصدق ما أسمعه" فرد عليه "بنكى" قائلا: "لا يهم فى الأمر شيئا إذا لم تصدق فأنا أصدق. وطالما كنت أصدق". لم يكد "بنكى" ينهى كلماته حتى عقد حاجبيه وتطاير الشرر من عينيه، فأدرك "شونكاى" أن قدره قد أوقعه مع إنسان متمرد صعب المراس فآثر ألا يعارضه حتى لا يحدث من الأمور ما لا يرضاه ولا يعجبه فغير لهجة كلامه وهذب لغة لسانه وقال: "حسنا فلتتفضل بالحضور معى إلى معبدى فأعطيك ثوبا جديدا بدلا من هذا الذى ألبسه"، ولكن "بنكى" اعترضه قائلا: "لن يغير من الأمر شيئا إذا ذهبنا إلى معبدك أم لم نذهب. فلتعطنى ثوبك الآن وهنا".

بالرغم مما قاله "بنكى" فإن الراهب العجوز "شونكاى" لم يستجب على الفور ولم يخلع ثوبه، فاستشاط "بنكى" غضبا وجلس القرفصاء حتى يكون مستوى وجهه فى مستوى وجه "شونكاى" الذى كان مع ذلك ينتعل قبقابا ذا كعوب عالية ثم نهض واقفا مرة أخرى والشرر يتطاير من عينيه وقال: "ياله من سلوك فاجر لراهب عجوز بغيض. لقد ضرب لنا سيدنا "بوذا" مثلا مشابها لمثل هذه الحالة حتى نحتذى به، فقبل أن يصل "بوذا" لمرحلة الهداية وعندما كان اسمه "شاكوصون" تطوع بجسمه لكى يكون طعاما لنمر مفترس كان يتضور جوعا لكى ينقذه من الموت، وتشاء الأقدار إلا يحدث ذلك. وفى مرة أخرى كاد يفتك به نسر جارح حين وضع نفسه فداء لحمامة كان ذلك النسر يريد

افتراسها، وبسبب تلك الروح الفدائية ونكران الذات ارتقى إلى مرتبة "شاكانيوراى" حيث مرحلة النور والهدية، فما بالك براهب ثرى مثلك يضن بمجرد ثوب على شخص مسكين مثلى مع أن ذلك لن ينقصه من ثروته فى شئ ؟أم لعل حياتك تهون عليك لهذه الدرجة لكى تهدرها فى سبيل ثوب"؟

لم يكد "بنكى" ينهى جملته حتى كان قد تناول عصاه الحديدية المسننة المعهودة ورفعها فى الهواء يوشك أن يهوى بها على الراهب، فبادره الأخير قائلا "حسنا فلاأخلع الثوب". وبالفعل أسرع بخلع الثوب. وبعد أن فعل ذلك فإذا بـــ "بنكى" يقول له: "اخلع أيضا ذلك القميص ذا الأكمام القصيرة والاخر ذا الأكمام الواسعة" فتماثل الراهب لأوامر "بنكى" حتى صار يغطى جسمه بعباءة واحدة فقط، أما "بنكى" فقد لبس القميص الأبيض ذو الأكمام القصيرة وفوقه القميص الاخر ذو الأكمام الواسعة ثم فوقهما ارتدى الرداء الحريرى وفوق كل هذا لف العباءة الحريرية الفاخرة حول كتفه، وانتعل القبقاب الحديث الطلاء وفوق هذا وذاك أمسك بالسيف ذا المقبض الطويل واتكأ عليه جاعلا منه عكازا -- كما كان يفعل الراهب العجوز -- ثم قال للراهب: "ما رأيك أيها الشيخ. ألست أبدو وجيها" ؟ فرد عليه الراهب قائلا: "لقد صارت هيئتك أجمل مما سبق بكثير"، فقال "بنكى" "أنه شئ يسعدنى أن تطرينى هكذا". ولكن "بنكى" فى نفس الوقت كان يقول فى قرارة نفسه: "يا للمصيبة. من أننى منذ قليل كنت قد عقدت العهد أمام السيد "بوذا" على ألا أسرق، فها أنا ذا حتى وإن كنت لم أسرق بالمعنى الحرفى إلا أننى قد أكون قد أجبرت إنسانا على

أن يتنازل لي عن ممتلكات له مرغما وعن غير إرادته"، ثم قال "بنكى" محادثا نفسه: "فلأبادل الراهب العجوز بملابسى وأن كانت قديمة رثة لا تضاهى ملابسه".

ثم خلع "بنكى" قميصه ذا الأكمام الواسعة وقميصه الزاهى الألوان ذا الأكمام القصيرة وقدمها للراهب العجوز قائلا: "ألبس هذه الثياب أيها الراهب"، فرد الراهب قائلا: "لقد عشت ما عشت حتى بلغت هذا العمر. ثم تأتى أنت وتطلب منى أن ارتدى مثل هذه الثياب الصارخة. كيف بحق الآلهة. أخبرنى"؟ فقال "بنكى": "أنك إذا رفضت طلبى هذا فسوف تجعلنى أخسر هيبتى وكرامتى وسوف تجعل وجهى يتلطخ بالطين، أن الأمر - إذا نفذت طلبى - سوف يبدو أننا مجرد غيرنا ملابسنا مع بعضنا البعض وإن كانت ملابسك أغلى وأجمل من ملابسى. فارجوا أن تأخذ ملابسى وتلبسها دون أن تسألنى السبب".

ثم جحظ "بنكى" بعينيه وأخذ يحدق في وجه الراهب العجوز وعيناه يتطاير منهما الشرر، فأرتعدت فرائص الراهب وأخذ جسمه يرتعش من الخوف والرعب، وحينما حاول الراهب العجوز أن يعرج إلى مدق غير ممهد جذبه "بنكى" وأجبره على السير فى الطريق الرئيسى قائلا له: "سوف يكون حالك مثيرا للأسى والقلق إذا تركت شيخا كهلا مثلك يسير فى الطريق وحده، فلأصطحبك إلى القاعة الكبيرة للمعبد وأدخلك إليها". وبعد أن أنهى جملته بدأ السير فى المقدمة وخلفه الراهب العجوز.

وحين اقتربا من المعبد المقصود طلب الراهب العجوز من "بنكى" أن ينصرف ويتركه وحده قائلا له أنه لو تركه هنا فسوف

يحسب هذا العمل له حسنة من الحسنات الكبرى، ولكن "بنكى" رفض قائلا: "بل إننى سوف اصطحبك لزيارة معابد الجبل السبعة كلها"، ثم واصل "بنكى" المسير والراهب العجوز خلفه وجعله يزور كل المعابد والأبراج دون أن يترك واحدا منها.

ولما كان "بنكى" من يومه مستهترا أخرقا، فقد استل سيفه ذا المقبض الطويل وسلطه على رأس الراهب العجوز، مما جعل الراهب يزداد رعبا ويسير منحنيا إلى الإمام. لقد كان الشيخ الراهب الذى بلغ من العمر ستين عاما منحنى الظهر بسبب شيخوخته، ولذلك فقد زاده ذلك من منظر انحناء ظهره وهو يسير.

ولقد كان الراهب العجوز "شونكاى" يبدو بالقميص الزاهى الألوان ذو الأكمام القصيرة والتنورة الملونة وهو يمشى خلف "بنكى" وكأنه تابع له، حقا أن ما يقال من أن الإنسان حين يصير كهلا يعود إلى طفولته مرة أخرى لهو هذا المشهد بعينه.

وبعد ذلك قال "بنكى" لـــ "شونكاى": "أيها الراهب أنه من الصعب على أن أجد الكلمات المناسبة التى أشكرك بها لتفضلك بإعطائى هذه العباءة، لقد عرفت وحفظت مكانك. ولذلك فلسوف أعود إليك يوما ما إليك حين تبلى العباءة لكى تبدلها لى بعباءة جديدة أخرى". كانت هذه آخر جملة يقولها "بنكى" للراهب "شونكاى" قبل أن يوليه ظهره متخذا طريقه إلى العاصمة "كيوتو".

حكاية حصول "بنكى" بالتحايل على السيف والدروع

قال "بنكى" فى نفسه أنه بعد أن ساءت سمعته وصار يذكره الناس بالسوء حين سماع اسمه وبعد أن طرد من الجبل فلم يعد هناك معنى لأن يصير إنسانا مسالما، فلقد قرر "بنكى" أن يجوب أرجاء اليابان يمارس الشعائر الدينية فى نفس الوقت الذى يثير فيه الشجار فى كل مكان يحل به.

أما إذا خاب أمله ولم يجد فى اليابان من يصارعه فعليه أن يعبر البحر إلى بلاد الصين ويجوبها بممالكها السبعة يسب الناس ويتشاجر معهم.

وإذا لم يجد فى الصين من يقف أمامه فقد قرر ساعتها أن يكرس نفسه بكل صدق للورع والتقوى.

وإذا ظهر فيما بعد من يفوقه فى القوة فقد أزمع فى قرارة نفسه أن يعقد عهدا وثيقا مع ذلك الشخص يلتزم به فى هذه الدنيا وحتى

الحياة الأخرى يكون على أساسه مريدا تابعا له.

قرر "بنكى" على الفور أن يخرج فى رحلته. ولكنه تذكر أنه لكى يقوم المرء بالشجار فلن يكون هناك غنى عن السيوف والخناجر.

ذهب "بنكى" إلى أحد الحدادين المهرة الذين ينحدرون من نسل أو الحدادين "فوكاجى" الذى كان موجودا بمنطقة "سان جوو" بالعاصمة "كيوتو" وقال له: أننى مستخدم لدى وزير الميمنة "مونيه مورى" وطلبات جناب الوزير سيف طوله خمسة أقدام وست عقلات وحربة طولها أربعة أقدام وثلاث عقلات وخنجر طوله ست عقلات وسيف قصير يغمد فى الخصر طوله تسع عقلات ونصف. اضعها على عجل وأحملها معى إلى قصر الوزير.

وقال: وسوف اتى إليك لتسلم الطلبات.

ظل "بنكى" بجانب الحداد (ولم يتحرك) يراقبه وهو يصهر الحديد ويطرقه. فقد كان "بنكى" مزودا بعين الخبير التى يستطيع بها اكتشاف أى شائبة أو خدش بالمعادن وصار "بنكى" يتلو الصلوات طوال الوقت وترك العنان للسانه يحكى كل ما حصله من معرفة عن الممالك الثلاث (اليابان والصين والهند) فقد كان فلتة من فلتات الزمن مثقفا يعلم بما فى الكتاب البوذى أو بما ليس فيه، وبينما كان مسترسلا على هذا الحال فى سرد أخبار البلاد والعباد أخذته نشوة الكلام فنسى الصحو والمنام والنور والظلام ومضى على هذا الحال مائة يوم بالكمال والتمام والحداد أيضا لا يكل ولا ينام لا يكف عن الطرق والضرب حتى أنهى الطلب

وسلمه لـــ "بنكى" فسر وانشرح وقال للحداد:"حسنا هيا معى نحمل الطلبات" فحملا السيوف والخناجر وسارا حتى وصلا إلى إحدى الحوارى فقال بنكى للحداد "انتظر هنا قليلا. حتى أعود إليك بالأجرة" فأجابه الحداد "السمع والطاعة" وصار ينتظره. ولكن الحداد صار على انتظاره هذا دون أن يعود إليه "بنكى".

وفى اليوم التالى ذهب الحداد على الفور إلى "مونيه مورى" وزير الميمنة وحين سأله عن أمر "بنكى" والأسلحة المصنوعة أجابه بعدم علمه على الإطلاق بذلك الأمر. وهنا قال الحداد "ما باليد حيلة" وفوض أمره للسماء وهو يشعر بالأسى والحسرة. أما "بنكى" فقد راودته الرغبة فى أن يضيف لمسة جمالية إلى السيوف والخناجر التى حصل عليها ويقوم بتزيينها، وكان يوجد وقتها فى منطقة "جوجوو" بالعاصمة "كيوتو" حرفيا ماهرا اسمه "كيتشى نايزا ايمون تادازانية" يقوم بتزيين المعادن. ذهب بنكى إلى دكان ذلك الحرفى قائلا "أنا تابع للأمير "قوماتسو" وقد أرسلنى إليك طالبا منك أن تزين من أجله سيوفا وخناجر، وقد كلفنى الأمير بأن أقوم باستلام البضاعة بعد أن تنتهى من تزيينها فعجل أيها الرجل بالعمل حين ذكر "بنكى" اسم الأمير "قوماتسو" لم يكن أمام الحرفى مجال لرفض المهمة حيث لم يكن هناك وقتها من يعارض أمرا صادرا من عشيرة الـــ "هيكى".

وقد جعل "بنكى" الحرفى "تادازانيه" يضيف الزينة حسب هواه وحسب ما أمره به، فعلى الخنجر جعله يحفر رسما للخيزران والنمر وعلى السيف رسما لزهرة الـــ "بونان" وللأسد، وبعد أن انتهى الحرفى من مهمة تلك الزينة المبهرجة قال له "بنكى" أنه

قبل أن يصطحبه للأمير "قوماتسو" كان يريد أن يعرض السيوف والخناجر لأصحابه ممن يحبون ذلك النوع من العمل الفنى.

قال له "بنكى": "انتظرنى هنا قليلا" ثم جرى ودخل أحد البيوت ثم اختفى دون أن يترك وراءه أثرا.

لم يحتمل "تادازانيه" انتظار "بنكى" فذهب إلى قصر الأمير "قوماتسو" وحين أخبره بأمر "بنكى" أجابه بأنه لا يعلم شيئا بهذا الأمر. فقال "تادازانيه" "ما باليد حيلة". وكان هذا من أمر "تادازانيه".

وعلى ضفة النهر فى منطقة "شيتشيجوو" بالعاصمة "كيوتو" كان يوجد صانع للدروع اسمه "صابورو زاايه مون يوشى تسوجو"، جاءه "بنكى" يوما وقال له "نريد دروعا لكى يلبسها "يورى ماسا" صاحب مقاطعة "هيوجو" تحت روبه حين يخرج فى مهامه.

ونريد طقما من نطاق البطن الأسود حتى واقية الذراعين وسوف أحضر أنا فى النهاية لتسلم الطلبات".

وعليه فقد استغرق "يوشى تسوجو" فى صناعة المطلوب من بطانة الدرع حتى صفحته، وقام بصناعة واقيين لكل من الذراعين الأيسر والأيمن رسم عليهما تنينا يحلق بين السحب، كذلك صنع واقيين لقصبة الساق مجليين بقشرة من شجر الـ "بياكردان" (الأندونيسى) فكانا يشعان بريقا ولمعانا.

وحين لبس "بنكى" تلك الدروع وضع أولا السيف ذو الخمسة أقدام فى نطاق الخصر بحيث يبرز إلى الخلف مرتفعا نصله إلى أعلى ووضع الدرع ذو القدم الواحد تحت أبطه الأيمن ووضع السيف ذو القدم والست عقلات فى حضره فى زاوية قائمة على

النطاق، وفجأة استل "بنكى" السيف من خصره وهو يقول "هيا فلا قطع الرؤوس" وأخذ يقفز هنا وهناك وأخذ يطيح ويقطع شجرة الساكورا الموجودة فى أحد أركان (المارى) [1]وحين رأى "يوشى تسوجو" تلك الفعال قال فى نفسه "ياللهول".

لقد سمع "يوشى تسوجو" بأمر هذا الراهب الشرير الذى جعل "قوكاجى" حداد "سانجو" يصنع السيف وجعل "كينتشى" ناى زاايه مون" يصنع زخارف السيف ثم تظاهر بأنه موظف عمومى وعامل لدى عشيرة "هيكى" فأدرك بأنه لن يحصل على أجرة عمل الدُرُوع ولن يستفيد شيئا إذا قطع رأسه رجل شرس مثل هذا الراهب وآثر الهروب فجرى إلى بتيه ودخله. ثم أغلق أبواب البيت ونوافذه وأغلق المزاليج وحين اختلس النظر إلى الصالة الخارجية وأغلق الأبواب والشبابيك كان بنكى ينظر إلى البيت فقال: لا تقلق أننى أشعر بأن نطاق بطنى قد صار خفيفا فسأجرى وأجرى.

وكما لو كان "بنكى" قد شعر بأن نطاق بطنه قد صار خفيفا فقد صار يجرى ليستطلع الأمر ويقفز الأسوار وهو ينتعل قبقابا كبيرا

---

(١)كلمة "المارى" هنا يقصد بها المكان المخصص للعب نوع من أنواع ألعاب الكرة التى كانت موجودة فى العصور الوسطى باليابان، والتى كان النبلاء بوجه خاص يمارسونها كمظهر من مظاهر الرفاهية، ولكن كلمة "مارى" فى حد ذاتها أصلا تعنى الكرة نفسها المستخدمة فى اللعبة.. أى أن ترجمتها الحرفية المباشرة فى ذلك العصر كانت تعنى "كرة"، وكانت تلك الكرة تغلف بالجلد أو المطاط بينما قلبها مكون من كتل من الخيوط والقماش.

كذلك تطلق كلمة "مارى" على اللعبة نفسها.. مثلما نقول بالعربية "كرة القدم" فتعنى بها الكرة نفسها أو قد نعنى بها اللعبة ذاتها.

يحلق فى الهواء ولا تكاد تظهر قدماه وهما تلامسان الأرض من فرط سرعته.

وظل "بنكى" فى عدوه هذا حتى غاب عن الأبصار ولم يعد له أثر.

وهنا قال "يوشى تسوجو" "كأننى أفقت من كابوس وكتب لى عمر جديد" وتنفس الصعداء.

حكاية السعى وراء الكنوز الموجودة فى قصر "وأتانابيه"

راجع "بنكى" نفسه قائلا "ياللعجب هاقد خرقت عهدى بعدم السرقة أمام بوذا العظيم" لقد تذكرت أمرا".

قرر بنكى فى قرارة نفسه أن يذهب إلى قصر رجل اسمه "جينبا نوجوو يوكيهارو" سمع بانه غنى جدا ليحصل على نقود يدفعها للحرفيين الثلاثة، فذهب فى ذلك اليوم إلى مكان "يوكيهارو" متزينا بتلك الأشياء التى احتال بالحصول عليها فتمنطق بحزام البطن ولبس في ذراعيه واقية الذراع ولبس فى ساقيه واقية القصبة وربط حول رأسه عصابة الرأس (هاتشى ماكى) [1]بقوة ووضع السيف الطويل فى حزامه وجعل من

---

(١) "هاتشى ماكى": كانت فى العصور الوسطى عبارة عن رباط للرأس من الجلد، وعند منطقة الجبهة كان الرباط مزودا بقطعة من المعدن. وهناك شكل أخر مبسط من الـ "هاتشى ماكى" عبارة عن مجرد رباط من القماش عقدته عند الجبهة.

الحربة عكازا يستند عليه، وحين وصل "بنكى" إلى قصر "يوكيهارو" ونظر إليه وجد به أشجارا ضخمة وقديمة متداخلة ومتشابكة مع بعضها البعض، وعلى أسوار الحديقة وجد أبراجا مشيدة ووجد المكان محاطا بثلاث قنوات مربعة متداخلة وداخل القنوات كان مغروساً بها الأوتاد والخوازيق على جميع الجوانب (كى تعيق من يفكر بالتسلق) وكان صبيان "يوكيهارو" قد لزموا مواقعهم بالأبراج وحلوا أحزمة السهام وكانوا يبدون وكأنهم على استعداد لمواجهة أى أمر طارئ.

دخل "بنكى" من البوابة وخاض بإقدامه فى الحصى المفروش بحديقة القصر ثم صعد إلى الشرفة فإذا به يلمح "يوكيهارو" مغطيا ساعديه بواق محلى من الخارج بقماش ذا خطوط بنفسجية مائلة متقاطعة مع أرضية باللون البرتقالى ومرتديا تنورة واسعة من القماش الفاخر يتدلى منها سيف غمدة من الفضة.

وكان بالقصر عدد من السيوف ذات المقبض الطويل (ناجيناتا) ذات الأنصال الصغيرة التى نزعت من جرابها وأسندت فى صف على حوائط القصر.

وكان هناك أيضا الكثير من أنواع المقبلات والمزات إلى جانب قنانى الخمر الفخارية المصفوفة وأقداحها وجرار الخمر المبعثرة والتى توحى من شكلها بأن هناك مجلسا كبيرا للخمر قد انتهى لتوه. تقدم "بنكى" يزيح من طريقه الجرار ويركل الأقداح حتى وصل إلى مكان رأى به الجند يتسامرون وهم يلعبون النرد.

ظهر "بنكى" أمامهم بشكله الغريب وملابسه غير المهندمة وقال لهم "أننى فى سبيلى إلى "قومانو" لممارسة الشعائر وقد نفد زادى

من الأرز وأريد منكم مقدار مخزن من الأرز".

حين سمع "يوكيهارو" جملة "بنكي" تلك اشتعل الغيظ به وقال "ماذا.. وهل ممارس الشعائر هذا المرتدى ثوبا والذى يلف على كتفه الحرام ويوشك على الموت جوعا.. وهل حين يشحذ الطعام والشراب يكون مسلحا هكذا ويقتحم البيوت وينهب المخازن، ليس هذا إلا من فعال اللصوص. أين أنتم أيها الجند؟ أضربوه وكتفوه".

وحين سمع بنكى كلام "يوكيهاور" رد قائلا: "إذا لم أستطع الحصول على ما أريده فهذا لا يهم، ولكن ما لا أستطيع السكوت عليه هو أهانتك لى ووصفك لى بأننى لص.. حسنا أيها الرجال فلألقنكم درسا" وعلى الفور أستل "بنكى" أسلحته وقفز عليهم مهاجما فى سرعة وقوة لا تتناسب إطلاقا مع أسلوبه الهادئ فى الحديث.

نهض "يوكيهارو" واقفا وبدأ فى الجرى والهرب، ولكنه كان سمينا وعظامه ضعيفة بطبيعته ومنذ ولادته ولذلك فلم يستطع الجرى وبدا لو كان يرقص فى مكانه.

شعر "بنكى" بأنه لن يستفيد شيئا لو حاصره وقتله وفضل لو هدده وأرعبه فغرز سن السيف فى رقبته ثم أخذ يتحسس بالسن حول رقبته ويهدهدها به واستمر على هذا يلقى بالرعب فى قلب "يوكيهارو" بطرق مختلفة.

حين رأى الجند الموجودون فوق الأبراج هذا الحال قالوا "فلنتركهما يواجهان بعضهما البعض.. وإذا أحسسنا بأن "يوكيهارو" على وشك أن يطعن فلنقذف بسهامنا على الفور على "بنكى" من هنا ونحن بعيدون عنه" ولم يجرؤ واحد منهم على

التقدم لنجدة سيده "يوكيهارو".

وإذا بزوجة "يوكيهارو" تهرع مسرعة إلى المكان فتفصل ما بين الاثنين وتبعدهما عن بعضهما وتقول لـــ "بنكى" وهى تضرع إليه متوسلة: "حسنا أيها الراهب.. أن زوجى رجل غبى وقد لا يميز مع من يتحدث فهو لم يعرفك وأخطأ فى القول والعمل" فعفا "بنكى" عن "يوكيهارو".

وحينئذ سقط "يوكيهارو" على الفراش المغطى بالناموسية فاقدا الوعى انزعجت الزوجة حين رأته هكذا وسألته: هل أصابك جرح، فأجابها "يوكيهارو" قائلا: "ياله من مشهد مخز أمام عروستى التى لم يمض على زواجى بها سوى أيام ثلاثة ولكننى على أى حال ففى شجارى مع عدوى هذا لم يكن مهما عندى أن أعيش أو أن أموت. فقط ما جعلنى أشرع فى الهرب هو رغبتى فى ألا أفارقك وأن أراك ولو مرة أخرى لقد أحسست ببرودة الهواء عند ظهرى حين مرق سن سيف ذلك الراهب من الخلف وأريدك أن تدققى جيدا فى ظهرى تبحثى إذا كان هناك جرح أم لا".

حين أنهى "يوكيهارو" جملته غرقت الزوجة فى الضحك، أما بنكى" فقد جلس بعيدا وفرد مروحته ثم ضمها مرة أخرى وأخذ يخبط بها بنغمة معينة وهو يغنى الأغنية التالية:-

"إذا فكرت فيما هى الحياة ستجدها لحظة.. فالمجد ما هو إلا حلم ربيع والحياة قطرة ندى فوق عشب تنتظر أول هبة ريح كى تنزلق وتنتهى.. فعجبا لا مرئ يريد طول العمر بهذه الدنيا فترى هل هناك ما يبكى عليه إذا تركها".

حين أنهى "بنكى" شعره قالت له الزوجة "صدقت أيها الراهب أننا فى هذا العالم الذى يشبه الحلم نطيل العيش كقطرة للندى تنتظر هجوم الريح عليها، وزوجى صار يسعى وراء متاع الدنيا ونسى أداء شعائر الدين، أنه لم يلتق بشخص حكيم مثلك من قبل فلم يتعلم ولم يتعظ".

حكاية حماية "بنكى" لـــ "يوكيهارو" من اللصوص

أما "بنكى" فلأنة كان يعلم مسبقا بالهجوم فلم يندهش ولم ينزعج على الإطلاق.. وبعد أن انتهى من تلاوة ثمانية أجزاء من الكتاب البوذى بدأ يعيد تلاوتها من البداية مرة أخرى، ولأنه كان يعلم بالحكمة التى تقول إن من قرأ جملة من الكتاب البوذى نيابة عن قومه كسب لهم جميعا حسنة كبيرة فقد ركز فى تلاوته للكتاب مغمضا عينيه وهو يقول "حسنا.. فلتكن نفسى بعيدة عن الهوى وأنا أدعو للجميع أن يصيروا بعد الموت فى شكل بوذا دون تفرقة.. فليتطهر الجند الذين يقاتلون الان من رغبات وشهوات هذه الدنيا وليدخلوا من بوابات الهداية إلى عالم بوذا ناجين من غياهب الظلمات". ولكن بينما كان "بنكى" يواصل تلاوته وصلواته اشتدت هجمة اللصوص وبدأ الجند المدافعون عن الحصن فى موقف لا يحسدون عليه.

وهنا ركع كل من "يوكيهارو" وزوجته أمام "بنكى" مطبقين كفيهما يضرعان ويتوسلان له قائلين "نرجوك تفضل بإنقاذنا" فقال "بنكى" على الفور هذا أمر يسير "غاليان والطلب رخيص" ثم بدأ يضع الدروع على جسمه فى أناة ورباطة جأش ووضع السيف المعهود فى وسطه وكذلك رشق الخنجر فى غمده وحمل السيف ذا المقبض الطويل والعصا المعدنية الثمانية الإضلاع ودار بعينيه الحادتين فى جميع الجهات يستطلع الأمور وقال:

"أيها الرفاق استمعوا لى جيدا.. افتحوا البوابات واجذبوا أحبال الأقواس بشدة دون أن تقذفوا سهاما واستدرجوهم إلى داخل الحديقة ثم أغلقوا عليهم البوابات واسحبوا الكبارى الخشبية حتى لا يستطيعوا التراجع وعبور خندق المياه المحيط بالسور" بمجرد أن أنهى "بنكى" أوامره امتثل الجند له ونفذوا جميع ما أمر به ففتحوا البوابات وحين شرعوا فى الالتحام اغتبط المهاجمون وتدافعوا نحو البوابات.

تدفقت قوة المهاجمين إلى داخل حديقة القصر بشكل عشوائى فى حين قال "بنكى" للحراس "أيها الرفاق.. استريحوا أنتم واتركوا لى أمرهم فسوف أمزقهم بلا هوادة ولا رحمة" ثم تناول "بنكى" سيفه ذا القبضة الطويلة وعصاه المعدنية الغليظة ورفعهما، وبعد ذلك حمل عرقا غليظا من الخشب طوله ثلاثة أذرع مليئا بالبروز والحفر، ثم شهر طرف تنورته فجأة فى حين اندفع ناحيته عشرات من اللصوص يريدون طعنه. بعد أن فاجأهم "بنكى" بثلاث ضربات بالعرق الغليظ سقط منهم مائة وسبعون رجلا بين الحياة والموت ممن ارتطم العرق بسيقانهم.

وصار "بنكى" يتعقب اللصوص وهم يتعثرون فى سبيلهم إلى الفرار من خلال البوابات الكبيرة والصغيرة فلحق بثلاثين منهم وضربهم أما الذين استطاعوا الفرار من الجرحى فقد سقطوا من الاعياء بعد أن ركضوا لمسافة مئات الأمتار، أما حراس القصر فلأنهم احتموا بحصونه المنيعة فلم يصبهم جرح ولا أذى.

وقد تجمع "يوكيهارو" وكذلك زوجته وأولادهما والجند والاتباع وصاروا يصلون مطبقين الكفوف وهم يقولون: "ترى هو آله ذلك أم بوذا؟ أنه ليس من جنس البشر".

وبعد ذلك قال "بنكى" لــ "يوكيهارو": "إذا أمعنت التفكير ستجد أن هذه السيوف والخناجر التى أخذناها من اللصوص لا تقل قيمتها أبدا عن القمصان التى حملتها للثلاثين تابعا فى المرة السابقة".

ثم قال لــ "يوكيهارو" أيضا: "والآن أريدك أن تذهب على وجه السرعة إلى العاصمة (كيوتو) فتقابل الأمير "قوماتسو" لتحدثه بشأنى"، وبالفعل امتثل "يوكيهارو" لكلمات "بنكى" فذهب إلى "كيوتو" وحين كلم الأمير "قوماتسو" بشأن "بنكى" فكما كان متوقعا انشرح صدر الأمير وقال: "أن بطولاته لعظيمة وشخصيته لحميدة مباركة" ثم أنعم على "يوكيهارو" بإحدى الأبعديات فعلا شانه وزادت ثروته.

حكاية العراك فى معبد "هيسن جى"

بعد ذلك خطر لـــ "بنكى" خاطر أن يقوم بزيارة لمعبد "قومانو" لأداء الشعائر، فبدأ رحلته إلى هناك لأداء الشعائر الدينية بالإضافة إلى البحث عن منازل للشجار معه. وقد سلك "بنكى" الطريق متوجها إلى الشمال حيث منطقة "هوكوريكودوو". وبعد أن استمرت رحلته لفترة من الزمن وصل أخيرا إلى معبد "هيسن جى" ببلاد "ايتشى زن" فدخل حيث يوجد تمثال لـــ "بوذا" وأخذ يصلى أمامه ويتلو مقاطع من الكتاب البوذى وبينما هو على هذا الحال جاءه إحساس غريب وكأنه قد نسى شيئا ما.. فأخذ يسائل نفسه عما إذا كان قد سقط منه شئ فى الطريق أم لا. فأخذت تراوده التساؤلات والشكوك تباعا حتى اهتدى أخيرا إلى أن ما يفتقده هو الشجار والعراك مع الخلق، وأنه بدون الشجار والعراك سوف يمضى وقتا يقتله الفراغ والملل.. ولذلك فقد قرر أن يقوم

بالشجار مع شخص ما ثم يستجير بـ "بوذا" أن يسكنه الجنة ثوابا له على اغداقه الحسنات والأعمال الصالحة على العباد، وقد أخذ يحدق "بنكى" فى أرجاء وزوايا المعبد فلم يلمح أحداً لكى يتعارك معه.

وحين دلف "بنكى" إلى إحدى صالات المعبد يستطلع الأمر وجد جمعا غفيراً من رهبان وفتيان المعبد يملأون تلك الصالة وجزءا من الحديقة الصخرية الملحقة بها، وعلى أرضية الصالة كانت هناك الأقداح والجرار والأطباق المفروشة والتى توحى بجو مجلس الخمر.. أما فى أسفل المكان فى الحديقة الصخرية فقد كان هناك البعض يركلون الكرة ومع وجود هذا الجمع الغفير فإن "بنكى" لم يلمح هناك من يصلح لأن يكون ندا له فى العراك، ومع ذلك فقد قال "بنكى" فى نفسه "ماذا عساى أن أفعل إذا أمضيت النهار دون أن أستطيع العراك"؟

ولكن على أى حال فقد سر "بنكى" بوجود عدد كبير ممن كانوا يركلون الكرة الصغيرة والذين لم ترقه وجوههم فدخل [illegible] إلى الصالة وتقدم إلى الحديقة الحجرية وقال لهم: "أقصدكم فى أمر" فردوا عليه "ما الخبر"؟.. ولما لم يكن لديه شئ معين يقوله لهم فقد ابتدع حجة للكلام وقال:

"ما اسم ذلك الشئ الذى تركلونه أيها الرهبان"؟.. فإذا بالرهبان يتوقفون عن اللعب بالكرة ويتبادلون الضحك بشكل استفزازى، ثم يرد واحد منهم على "بنكى".

"إن القوم الذين يدركون أبسط أصول المعرفة يسمون هذا الشئ "كرة" أشعلت تلك الكلمات رأس "بنكى" فتقدم ناحيتهم وهو يقول

"إذا كان هناك شئ ما غامض على المرء فالمنطقى أن يستفسر عنه وهذا ما فعلته.. ولكن دعونى أعبر عن سرورى وامتنانى لاضافتكم تلك المعلومة القيمة إلى معلوماتى، ودعونى أخبركم بأن تلك الكرة هى أقرب ما تكون شبها لرؤوسكم". حين سمع الرهبان كلمات "بنكى" هذه غلى الدم بعروقهم واعتراهم الغضب وقالوا:

"أى أسلوب فى الحديث هذا أيها الراهب المجنون" فاسترسل "بنكى" فى الكلام قائلا: "معذرة.. قد يكون هذا بسبب وجود حول فى عينى.. ولكن فلتنظروا فى المراة حيث ستجدون رؤوسكم تماثل الكرة، لذلك فإن الأمر يستحق أن تركل رؤوس كل الحمقى من أمثالكم ثم فتح "بنكى" فمه الكبير عن اخره وأخذ يقهقه بصوت عال فازداد الغضب بالرهبان الصغار وصاحوا "حسنا.. أبق فى مكانك فسوف نعلمك الأدب".. وهكذا تسلق الفتيان الشرفة وتدافعوا إلى داخل الصالة يتسابقون كى ينقضوا على "بنكى" الذى اغتبط كثيرا وقال..

"الحمد والشكر للالهة فبفضلهما استطعت اليوم أن أشبع رغبتى فى أن أجد من اتعارك معه.. مهلكم أيها الرهبان الشباب المقدامون فالمكان هنا ضيق وقد تتعثرون وتتصادم أجسادكم ودروعكم ببعضها البعض.. فلنخرج إلى هناك" وأشار "بنكى" إلى الحديثة الصخرية الواسعة وتقدم إليها، ثم أخرج من نطاقه نايا وأخذ يضبط نغماته وقال: "كم أنا محظوظ.. أننى مسرور لأننى سابدا عراكا وإن كان يبدو أنه لن يستغرق الكثير من الوقت" ثم فرد مروحته وأخذ يلوح بها للرهبان الصغار وهو يدعوهم إلى

التقدم نحوه.

من بين الرهبان الصغار كان هناك واحد منهم يتعبد بمعبد "هيبه زان" من فترة مضت وقد تعرف على وجه "بنكى" الذى كان زميلا له بالمعبد، فقال لرفاقه "اهدأوا أيها الرفاق فمقاتلة هذا الراهب وإهدار الجهد والنفس معه لن يعود عليكم بشئ فهذا الرجل هو راهب المعبد الغربى "موساشى بووه بنكى" الذائع الصيت والذى لو اجتمع عليه رهبان الجبل كلهم ما استطاعوا أن ينالوا رقبته.. فهادنوه" ثم تراجع الراهب وانسحب.. وحينئذ لم يجرؤ واحد من رفاقه على التقدم لنزال "بنكى". أما "بنكى" الذى سبقهم إلى الحديقة الحجرية فقد قلق من تأخرهم وقال فى نفسه:

"يالهؤلاء الرهبان الذين يتوعدون ممارسى الشعائر الذين يقدمون إلى هذا المعبد، لقد قالوا لى إنهم سوف يلقنوننى درسا ولكن أحدا منهم لم يخرج إلى.. ماذا حدث، فلأذهب لأرى وجوههم واستطلع الأمور". وجرى "بنكى" وطاف بالصالة التى كانوا بها فلم يجد أحدا وطاف بالردهات والصالات الأخرى فلم يجدهم.. ولذلك فقد يئس وسلم أمره للالهة وانطلق تاركا معبد "هيسن جى".

حكاية ذهاب "بنكى" إلى جبل "شوشا"

أقنع "بنكى" نفسه بأن العراك على قارعة الطريق فى منطقة "هو كوريكودووه" قد ان أن ينتهى ورضى بذلك وترك المنطقة وعاد متوجها إلى البلاد الوسطى. ولم يمر من الوقت الكثير حتى وجد نفسه فى جبل "شوشا" ببلاد "هاريما"، فبدأ يمارس الشعائر بالجبل أمام تمثال "بوذا" حيث استغرق فى الصلوات والدعاء وردد العهد أولا بالالتزام بالفضائل الخمس[١] ثم جدد العهد بالحفاظ على الحدود الخمسة.

---

(١) الفضائل الخمس: الفضائل الخمس هذه أخذت عن "كونفوشيوس" حكيم الصين، وفى إحدى الروايات يقال أنها: الرحمة والواجب والاحترام والحكمة والثقة فى الغير، وفى رواية أخرى يقال أن تلك الفضائل هى: الواجب والرحمة والمصادقة وشد الأزر والبر، ويلتزم المرء بتنفيذ تلك الفضائل تجاه أبيه وأمه وأخيه الأصغر أو أخته الصغرى وأخيه الأكبر أو أخته الكبرى والابن أو الأبنة.

وضع "بنكى" القرابين الستة[٢] أمام تمثال "بوذا" ودعا ألا يجازيه بالمهالك الثلاثة[٣] في الحياة الأخرى، وأعاد التأكيد على اعتزامه التكفير عن ذنوبه.

ولأنه ظل على هذا الحال مستغرقا لفترة طويلة في صلواته فقد لفت انتباه جميع الرهبان الموجودين بالمكان وأثار شفقتهم وصاروا يقولون فيما بينهم "ياله من راهب غريب الأطوار".

قال بعضهم عن "بنكى": "إن "موساشى بووه بنكى" ذلك إنسان مثير للعجب وليس له مثيل في هذه الدنيا، فهو مع شهرته بأنه أحمق كبير إلا أنه عطوف ذو قلب كبير وملتزم بأداء المناسك البوذية على أصولها". وقال شخص اخر: "أن القوى في الشر"، وهكذا احتدم النقاش واشتعل الجدل فهذا يقول "موساشى" وذاك يقول "بنكى".

وهنا تدخل راهب صغير السن ليحسم النقاش فقال: "لا فائدة من ذلك الجدل العقيم، فلنسخر منه ولنعجل منه أضحوكة ثم نرى ماذا يفعل"، فقال الجميع في صوت واحد "أحسنت القول" ثم أخذوا يدعون "بنكى" تباعا لشرب الخمر.

ولما كان "بنكى" من الأصل محبا لشرب الخمر فقد أخذ يجرع القدح تلو الاخر حتى ثمل تماما فأخذ ركنا في البهو الكبير للمعبد واستلقى هناك غائبا عن الوعي، فاستغل الرهبان هذا التوقيت وهذه الفرصة وتجمعوا حوله ورسموا على صدغه الأيمن حصانا

---

(٢) القرابين الستة: الشموع والماء والطعام والبخور المحروق والبخور الملون والحلية المعدنية المفرغة ذات نقوش الزهور والطيور.

(٣) المهالك الثلاثة في الحياة الأخرى (الاخرة): طريق النار وطريق الجوع وطريق الدم.

هائجا وكتبوا الشعر التالى:

ها هو "موساشي بووه بنكى" يشبه الحصان الهائج تماما فلنضع اللجام على وجهه ولنكبح جماحه ثم رسموا على صدغه الأيسر قبقاباً وكتبوا الشعر التالى:

بل أن وجه "بنكى" يشبه القبقاب فى تفرطحه فلندخل القدم من عينه ونسحق أنفه وننتعل وجهه.

أما "بنكى" الذى لم يشعر بما حدث فقد أفاق متعجبا وقال: "ترى كم مر من الوقت"!!، ثم توجه إلى تمثال وقدم له الزهور وصلى، وبينما هو فى هذا الحال فإذا بفتيان الجبل يضحكون ويتغامزون وهم ينظرون إليه، فقد لاحظوا لأول مرة ما صار إليه حال وجه "بنكى".

وقد لاحظ "بنكى" تصرفات الفتية فشك فى أن تكون المشاجرات التى خاضها فى الأيام السالفة قد نتج عنها أن خفس أحدهم بأنفه.. فتحسسها فوجدها بمكانها ولا يشوبها أى تغير ملحوظ، فتعجب واتجه إلى بركة اللوتس الموجودة بالمعبد ليتخذ منها مراة يطالع فيها وجهه، وحينما حدق فيها وجد بوجهه ما وجد فقال وهو يضرب كفا بكف "لهم ألحق هؤلاء القوم أن يضحكوا، ولو كنت مكانهم لضحكت أيضا، ثم طرأت لـــ "بنكى" فكرة أن يغير الموقف لصالحه لكى يصرف الأنظار عن المقلب الذى دبره له الاخرون ولكى ينقذ ماء وجهه.. ولكن كيف له أن يفعل ذلك وهو لا يعرف من فعل به ذلك العبث!!

ولما كان "بنكى" منذ نعومة أظفاره ذكيا نبيها نادر الوجود فى زمانه فقد اقتنص الفرصة حين لمح أحد موظفى المعبد الكبار

يدخل إلى القاعة.. وكان أعورا لا يكاد يسمع صوته حين يتكلم، فقال "بنكى" فى نفسه: "فلأحقق رغبتى فى العراك هنا فى جبل "شوشا" من خلال ما لم يعجبنى من تصرفات أهله"، ثم توجه إلى أحد الأعمدة الكبيرة للمعبد وكتب عليه التالى:

"يا رهبان معبد "شوشا".. أنكم تشبهون ذى العين المشروطة ومنكم من هو أعور عديم الصوت".

فى نفس الوقت كان هناك بعض رفاق الراهب العجوز الأعور ممن دخلوا القاعة واقتربوا من العامود فشاهدوا ما كتبه "بنكى" عن زميلهم الأعور، فأبلغوا زميلهم الذى استشاط غضبا بدوره وانطلق يدفع الرهبان والرفاق والجند من طريقه بخشونة وفظاظة حتى صعد إلى مكان الناقوس وأخذ يدقه بقوة لكى يدعو رهبان الجبل كلهم.

انزعج رهبان الجبل من صوت الناقوس المتواصل، فلم يلبسوا الدروع الواقية ولا الخوذات وأخذوا فى أيديهم على وجه السرعة النبال والسهام وهرعوا يتسلقون الجبل فى اتجاه المعبد.

حين تجمعت حشود الرهبان فى البهو الكبير وقف الراهب الأعور أمامهم وقال: "لقد مر ستون عاما منذ أن صعدت هذا الجبل، ولقد فقدت ضياء إحدى عينى فى السنين الأخيرة بسبب شيخوختى وضعفى وهذا ليس بسر أحاول إخفاءه.. أما صوتى فمنذ صغرى على حالة هذا من الضعف والوهن، وهذه هى المرة الأولى التى يتخذ بعضهم من هذه العيوب مادة للسخرية والكتابة على الحوائط، وهى أمر بغيض يجعلنى أشعر بالحنق والأسى، ولأننى لا أعرف من فعلها فأنى لى أن أصفى أمورى واحسمها

فى نزال بالسيف؟ فلأفعل أضعف الإيمان وهو أن أقطع بنفسى بطنى وأغسل العار الذى تلطخت به فى شيخوختى.

وعلى الفور وضع الراهب الأعور يده على مقبض سيفه، وهنا حاول الجميع إيقافه ومنعه فقال بعضهم له: "أن ما تفعله ليس له معنى" ثم قام الجميع بالتوقيع على ورقة كبيرة يقسمون فيها قسما قاطعا بأن أحدا منهم لم يفعلها ولا يعرف من فعلها.

وهنا قال بعض الرهبان: "إذن فربما يكون الفاعل من ممارسى الشعائر من العامة أو من الرهبان الضيوف". وبعد أن انتهت تلك الجملة انتشر الرهبان فى أرجاء القاعة يمسكون العامة من الزوار والرهبان الضيوف ويجذبونهم وجدضعوتهم إلى خارج القاعة، وفى هذه الأثناء كان "بنكى" جالسا أمام تمثال "بوذا" يمارس الصلوات.. وحينما أحس بهذا الهرج والمرج قال: "حسنا.. ها قد حانت الساعة".

ثم أخرج من دلو خشبى كان موضوعا بجانبه تلك العدة المعهودة، فلبس التنورة المجدولة بالصوف الخشن وربط فوقها الحبل المطرز بأشكال زهور "الكريزانتيم" ولف على وسطه نطاق البطن ذو الخيوط السوداء، وثبت على ذراعيه وساقيه أوقية الذراعيين والساقين ثم وضع فى خصره السيف العريض ذو الأربعة أقدام وست عقلات، ووضع فى خصره كذلك الخنجر والعصا المعدنية الغليظة متعامدين على بعضهما، وتحت أبطه الأيسر وضع البلطة وتحت ابطه الأيمن السيف ذا المقبض الطويل وانتعل القبقاب ذا الكعوب العالية وقفز وسط الحشود ودار بعينيه يحملق فى وجوه الناس ثم قال "ياله من جمع غفير"!!

وفجأة استل خنجره المعهود وحل وثاق الزوار والضيوف الرهبان واحدا فواحدا.

وجحظ "بنكى" بعينيه وجعل شرار الغضب يتطاير منهما، وصار يحملق فى وجوه رهبان المعبد متواعدا وهو يقول: "إن قلوبكم يا رهبان المعبد قاسية انعدمت منها الرحمة.. أين روح البوذية منكم وأين التنسك؟ إن هؤلاء الزوار الذين تحتجزونهم هنا لمساكين وبؤساء.. وا أسفاه.. واحسرتاه على أمة البوذية" وبعد أن تلى بعض الجمل الدينية متحسرا على ما آل إليه الحال وقف منتصبا متأهبا فاتحا ساقيه.

وهنا برز فجأة من بين الجموع أحد الرهبان من مريدى الراهب الأعور وكان اسمه "ميووشين" وكان يرتدى سترة للصيد لونها برتقالى وكان يثبتها على جسمه بثلاثة أربطة، وفى نطاقه كان هناك سيف غليظ طوله ثلاثة أقدام وعقلة ويتأبط سيفا ذا مقبض طويل مطليا باللون الأبيض، وصاح بصوت جهورى: "من هذا الراهب الذى اقترف إثما قطع وثاق الحجاج الذين قاموا بفعال لا يبيحها الناس؟ كذلك من يكون ذلك الراهب حتى يطأ أرضية البهو ويعربد فيه بقبقابه ذى الكعوب العالية وذلك فى حضرة الرهبان؟ فلتخلع قبقابك وإلا فسوف أتخذ اللازم ضدك".

ولكن "بنكى" حين سمع ذلك الكلام ضحك ساخرا منه وقال: "ليس هناك بهذا الجبل والمعبد من أحترمه كى أخلع من أجله قبقابى، فالإله "واكاأووجى" لا يوجد هنا، كما أن معلمى الدينى "كيشين" ليس هنا أيضا.. إذن من تطلب منى أن احترمه هنا؟.. حقا أنه لمن مكارم الأخلاق أن يخلع المرء ما ينتعله هنا، ولكن

القبقاب الذى رسمه بعضكم على صدغى أنا "بنكى" إذا مررت به على وجوهكم أيها الرهبان فليس لأحد أن يلومنى أو يأخذ على مأخذ عتاب. أما ما كتب على العامود فى حق الراهب الأعور فهو من فعلى أنا.. فليس على زوار الجبل من لوم ولا ظلم، لقد فعلت فعلتى هذه حتى يتجمع الرهبان فأستطيع أن أواجههم وأسألهم عمن قام بتلك الفعلة فى وجهى".

فرد عليه "ميووشين" قائلا: "حسنا فليكن الفاعل من يكون، ولكنى لا أعتقد أنه من رهبان هذا الجبل فليس يوجد هنا من تسمح له أخلاقه باقتراف تلك الأفعال" فقال "بنكى": "إذن فهل قمت أنت بالكتابة؟ شئ من شيئين أما أن تكون قد كتبتها أو لم تكتبها إذا لم تكن قد كتبتها فهذا لا يغفر لك سلاطة لسانك، فلتتقدم إلى هناك أفلق رأسك".

وهنا لم يستطع "ميووشين" أن يضبط أعصابه فشرع سيفه ذا المقبض الطويل الأبيض وقفز على "بنكى" يريد طعنه.. فمرق "بنكى" من تحت ابطه ونجا من الضربة وفى نفس الوقت خطف من "ميووشين" السيف وقذفه بكل قوة إلى أعلى إلى سطح البهو الكبير.

فلما وجد "ميووشين" أن سيفه قد سلب منه.. استل سيفه القصير وعاود الكرة يردي أن يطعن "بنكى"، ولكن الأخير قال له "يالك من مكابر عنيد"، وبسرعة خاطفة انتزع السيف القصير أيضا من "ميووشين" وقذفه مثل سابقه فوق سطح البهو الكبير.

ولما وجد "ميووشين" أنه صار مجردا من السلاح أدرك أنه لا حول ولا قوة، فأسرع بالركض إلى كوخ صغير من القش على

بعد أمتار من المكان واقتلع من هناك جذوة من النار وجاء يلوح بها مهددا فى اتجاه "بنكى" الذى أخذ يقهقه ضاحكا وهو يقول:

"أتلوح بجذوة نار والشمس فى كبد السماء؟ نحن بالنهار يا سيدى ولسنا بالليل.. فانظر حولك جيدا" وبعد أن أنهى جملته قبض بيده على الجذوة وقذفها هى الأخرى فوق البرج الذى يعلو القاعة الكبيرة. ولم يحتمل "ميووشين" ما حدث ولم يصبر عليه.. فاندفع يجرى نحو "بنكى" وهو يزوم من الغضب فابتسم "بنكى" ابتسامة عريضة فى نفس الوقت الذى تصدى فيه لـ "ميووشين" وأخذ رأسه تحت ابطه وصار يضغط عليها وهو يقول:

"فلأسلى نفسى وأقتل الملل بتكسير رأس هذا الراهب الصغير"، ثم استل عصاه المعدنية الغليظة وأخذ يدق بها على الخوذة التى كان يلبسها "ميووشين" على رأسه، وحين رأى "تانجوبووه" – وهو أحد زملاء "ميووشين" – هذا المنظر.. انطلق مندفعا ناحية "بنكى" وهو يلوح بسيفه ذى الأربعة أقوام فى الهواء وهو يلبس درعا مفتولا من الأحبال ذات العقد المتلاصقة والتى كانت تتدلى حتى الركبتين وعلى صدره درع اخر من خمس طبقات مثبت بحبل ذى عقدة من الأمام، وحين صار "تانجو بووه" على بعد خطوتين من "بنكى" استدار الأخير نصف دورة بحيث جعل رأس "ميووشين" التى لم يزل قابضاً عليها فى مواجهة السيف الذى كان يوشك أن يهوى، توقف "تانجوبووه" على الفور بينما لاح له "ميووشين" خفيفا جدا بين يدى "بنكى" يطوحه هنا وهناك على الرغم من ضخامة جسمه وهنا استنجد "ميووشين" بـ "تانجوبووه" قائلا: "خذ حذرك يا "تانجوبووه لا تذبحنى"، وهنا ألقى

"تانجوبووه" السيف على الأرض.. فأسرع "بنكى" وتأبط رأس "تانجوبووه" هو الآخر خبط رأسه برأس زميله "ميووشين" فصدر صوت طنين مثل طنة الناقوس انتقل صداه فى الأرجاء وذلك من الخوذتين اللتين كانا يلبساها، فقال "بنكى" منتشيا: "يالصوت الناقوس الجميل هذا".. ولم يحتمل بقية الرهبان ما عليه حال زميلهما، فاستلوا جميعا سيوفهم وكونوا صفا واحدا وانقضوا دفعه واحدة وهم يشرعونها، فصاح "بنكى" فيهم قائلا: "حسنا لقد حفرتم قبوركم بأيديكم" ثم دق رأس "تانجوبووه" و"ميووشين" فى بعضهما بكل قوة فتحتطمتا ومات الاثنان فتركهما من تحت ابطه ليهويا إلى الأرض، ثم استل السيف ذا المقبض الطويل بيد وباليد الأخر أشهر البلطة ثم أخذ يقفز قفزات عالية وبعيدة هنا وهناك وكأنه الـ "تنجو" (عفريت الجبل) فلم تلحق به ضربة سيف ولم يصب بأى جرح أو خدش، ولأن الدرع الذى كان يلبسه على صدره من نوع متين فحتى السهام التى وصلت إليه لم تنجح فى اختراقه.
انتزع "بنكى" سيفه العريض بعد ذلك من غمده وأخذ يتلفت حوله كى يؤمن موقعه ثم اندفع إلى الأمام يطعن الرهبان ويصول ويجول بينهم حتى قتل منهم خمسين من أشد رجالهم، ففزع الباقون وانتشروا يهربون شرقا وغربا وهو يتابعهم، وحين نظروا خلفهم وهم يهربون لم يلمحوه، ولم يشعروا إلا وهو وسطهم يمرق بينهم هنا وهناك فى سرعة عجيبة ولا يصيبه سهم من سهامهم.

وبينما هم على هذا الحال من الضرب والقتال.. إذا بريح شديدة تجتاح الجبل والمعبد وتنشر لهيب الجذوة التى ألقاها "بنكى" منذ

قليل فى أرجاء البرج بسرعة شديدة، وحين رأى الرهبان لهيب النيران فزعوا وصاح بعضهم يقول: "أحضروا الكتاب المقدس واعكفوا على إقامة الصلوات".

فهرول جميع الرهبان فى كل الاتجاهات فى حين اندفع "بنكى" متوجها ناحية البوابة، ولكنه توقف ثم ارتد مرة أخرى وقال وهو يراقب البرج الذى كان يحترق: "لا تصب على يا بوذا كراهيتك لهذا المعبد، فهمهما اضطررت أن تترك هذا المعبد بسبب حماقة رهبانه وسلاطة لسانهم فسوف أتحمل المسئولية وتبعات ما حدث وأعيدك مرة أخرى إلى هنا بعد أن أعود وأبنيه من جديد.. فأشهد على فجور رهبان هذا المعبد" ثم أخذ طريقه متوجها إلى "كيوتو" العاصمة.

انتهى القتال فى وقت الظهر ووصل "بنكى" إلى "كيوتو" قبيل المغرب فى نفس اليوم، فى حين أن الطريق بين المكانين يأخذ عادة حوالى أربعة أيام!

توجه "بنكى" على الفور إلى القصر الامبراطورى بالعاصمة وصاح أمامه بصوته الجهورى قائلا: "لقد احترق معبد حبل "شوشا" ببلاد "هاريما" ظهر هذا اليوم فأسرعوا بإعادة بنائه وإلا فسوف تحل اللعنة والمصائب بالبلاد والعباد، وقد أبلغتكم وأخليت مسئوليتى وأنا رسول من معبد الجبل"، ثم ترك المكان واختفى دون أن يراه أحد. وأسرع بعد ذلك إلى قصر الوزير "كيومورى" زعيم عشيرة "هيكى" للساموراى وكرر نفس الشئ واختفى دون أن يلحظه أحد.

وقد اندهش كل من كانوا بالقصر الامبراطورى وانزعجوا،

فارسل الامبراطور على الفور إلى "كيوموري" كتابا يستفسر منه فيه عما حدث، واستجابة لتساؤلات الامبراطور أرسل "كيوموري" بعضا من أتباعه إلى جبل "شوشا" على وجه السرعة لاستطلاع الأمر، فامتطوا خيولهم التي أطلقت عنانها للريح.

وصل أتباع "كيوموري" إلى جبل "شوشا" في أربعة أيام بالتمام والكمال ثم عادوا في نفس المدة إلى العاصمة وأخبروا سيدهم بأمر احتراق المعبد.

حين علم "كيوموري" بالأمر اصطحب ابنه وتوجه إلى القصر الامبراطوري وقال للامبراطور: "أن ما حدث يا مولاي الامبراطور لهو أمر في غاية العجب.. فقد شب الحريق في وقت الظهر بينما من قام بابلاغ الخبر وصلنا في وقت المغرب، وهذا ليس من فعال البشر وإنما من فعال ملاك "بوذا" ساكن المعبد". وقد نذر "كيوموري" أن يقوم بإعادة بناء المعبد، فاستقدم على الفور الحدادين والنجارين وجعلهم يصلون الليل بالنهار بالليل حتى انتهوا من بناء المعبد على أكمل صورة.

رواية "بنكى"

الجزء الثانى

لقاء "بنكى" بـــ "يوشى تسونيه" في معبد "كيتانو"(*)

بعد ما حدث عاد "بنكى" مرة أخرى إلى المعبد بجبل "شوشا" ومثل أمام تمثال "بوذا" وقال: "أننى أعترف بأننى المتسبب فى حرق معبدك هذا، ولكن هذا الجرم ليس جرما كبيرا إلى هذا الحد وعلى أى حال فسوف أتولى مسئولية إعادة بنائه. وإذا قمت بتجديد هذا المعبد فقد يحسب لى هذا ولو إنجازا صغيرا. ولكننى لست بالرجل الغنى المنعم ولذلك فمن الصعب على التبرع لبناء هذا المعبد. وطالما كان أبناء عشيرة "هيكى" قد عرفوا باقترافهم للسيئات وبافتخارهم برضاء البيت الامبراطورى عليهم، فسوف أحاول منع أنزلاقهم إلى غياهب الجحيم وغضب الإلهة بأن

(*) طائر الـــ "هووه أووه" هو طائر خيالى تصور الصينيون القدماء وجوده، وتصوروا أن الملاك حين ينزل من السماء إلى الأرض يتقمص شكل ذلك الطائر.

أجعلهم يشتركون فى جمع الهبات من أجل إنقاذ المعبد وذلك بأن أسرق منهم عدد ألف من سيوفهم واشترى بثمنها مسامير ا ومواد اخرى من أجل بناء المعبد، ولذلك فأرجو أن تغفر لى هذه المرة فقط خرقى لعهد عدم السرقة" ثم صلى وخرج من المعبد.

ومنذ ذلك الوقت عكف "بنكى" على سرقة سيوف عشيرة "هيكى" وخصوصا عظام الشان من رجالهم وذلك فى العاصمة "كيوتو" فبالإضافة إلى الأمراء الإقطاعيين المعروفين فقد اختار كلا من مورى توشى" صاحب مقاطعة "ايتشوو" و"كاجيه كيو" صاحب مقاطعة "كازوسا" (وهما من الساموراى الذين يساوى ذراع كل منهما قوة ألف رجل) لكى يسرق سيوفهم.

ولم يكن اسم "بنكى" معروفا فى العاصمة "كيوتو" أو ضواحيها، ولكن سيرته انتشرت وصار معروفا بأنه الراهب الطويل ذو المترين ذو الشعر المسترسل سارق ساموراى الـ "هيكى" والذى لا يستهان بقوته.

وعندما أحصى "بنكى" ما حصل عليه من سيوف وجدها ٩٩٩ سيفا بالتمام والكمال، ولكى يكمل العدد ألفا فقد عقد العزم على أن يكون السيف رقم ألف هو السيف المذهب المشهور الذى كان يملكه "اون ظووشى" (يوشى تسونيه "أحد رؤوس عشيرة" لـ "جنجى").

و"يوشى تسونيه" هذا أحد أبناء "يوشى طومو" رئيس عشيرة - الـ "جنجى" من الساموراى، والذى كان حاكما لمقاطعة "ساما" وقد أرسل "يوشى تسونيه" إلى جبل "كورما" فى طفولته المبكرة حيث أتقن مهارات الفروسية وعلم اللاهوت.

وبينما كان "بنكى" يبحث عن هذا السيف حلت ليلة الخامس عشر من الشهر السادس من السنة حيث كان القمر كاملا ومتعامدا على برج معبد "كيتانو" وذهب إلى المعبد بزينته المفضلة حيث وضع العباءة البيضاء القطيفة على كتفه وارتدى التنورة وحزام البطن ذا النسيج الأسود وعلى ساعديه ثبت واقيات الأذرع التى رسم عليها طائر الـ "هووه أووه" وهو يطير بين السحب وعلى ساقيه ثبت واقيات الأرجل التى، دهنت باللاكيه المعطر بشجر الـ "بياكودان" الأندونيسى، وتحت أبطه عصاه الغليظة المصنوعة من الحديد الأسود والمثبت على حوافها أسياخ من الحديد، ومثبتة مع العصا بأحزمة من الجلد ربطت على شكل ضفيرة والمثبت بها كعب غليظ صلب، وفى نطاقه غرز السيوف ثم وقف فاتحا قدميه متحفزا وكأنه الإلهه "نياكو ووجى" فى وقفته المهيبة. لم يكن هناك خصم أو عدد معين فى ذلك المكان ولكنه فى وقفته هذه حين دار بعينيه الحادتين يتفحص الوجوه والأماكن لم يكن هناك من لم يخف وترتعد فرائصه من تلك العيون المتأججة.

فى هذه الأثناء كان "يوشى تسونيه" متوجها إلى نفس المعبد لتأدية المناسك يرتدى تنورة زاهية الألوان وعلى رأسه كان يلبس تلك القبعة ذات الذيل المدلى والتى كان يطلق عليها "قبعة الغراب" والتى كانت منتشرة وذائعة الصيت بين رجال العاصمة وفى نطاقه كان يغرس سيفه المشهور المذهب. وقد خطف بريق ذلك السيف بصر "بنكى" الذى قال فى نفسه: فلاخذ هذا السيف لتكتمل مجموعة سيوفى الألف ثم تقدم ناحية المحراب وانحنى أمامه

فتظاهر بأنه يصلى وأخذ يتلو جملا قصيرة من التعاويذ بينما كان يمسك بسبحة الحجاج ذات الحبات الكبيرة، وبينما كان يفعل ذلك أخذ يغدو ويروح أمام "يوشى تسونيه" قابضا على عصاه الغليظة يوشك أن يهوى على رأسه غير أن الأخير ركل كوع "بنكى" بقدمه اليمنى ثم قفز إلى الخلف - مسافة ثلاثة أمتار فتفادى الضربة وهو يشهر سيفه فى الهواء.

- ولما كان الوقت ليلا فقد قال "يوشى تسونيه" لـ "بنكى" يبدو أن الأمر قد اختلط عليك وهاجمت شخصا لا تقصده". فرد عليه "بنكى" قائلا: "يالك من رجل سريع الحركة.. ولكن حتى لو كنت شخصا غير مقصود فهذا لا يمنع دهشتى من عدم إصابتك بضربة العصا"؟

وبعد أن انهى "بنكى" جملته أنقض مرة أخرى على "يوشى تسونيه" ولكن الأخير راوغه ومرق من تحت أبطه دون أن يوجه إليه السيف فلم يكن يريد أن يعتبر "بنكى" ندا له، غير أن سيفه حين أرتطم بعصا "بنكى" ذات السيوخ الحديدية والمغلفة بالجلد المضفر قطع منها جزءا يربو على القدمين.. فقهقه "بنكى" ضاحكا وقال: "ياله من سيف عجيب.. أنك لمحظوظ بامتلاك ذلك السيف البتار أيها الرفيق الصغير حسنا إذا كنت تريد النزال حقيقة.. فتعال هنا حتى أريك فن القتال على حقيقته".. ثم أستل سيفه العريض ذا الأربعة أقدام وست بوصات وأخذ يلوح به فى الهواء ويسدد ضربات عشوائية متتابعة دون حتى أن يأخذ - نفسا واحدا ولكن واحدة منهما لم تصب "يوشى تسونيه الذى بدأ - يدرك فى هذه اللحظة أن الذى يقاتله هو ذلك المشهور "بنكى"

فخطر له لحظتها أن يطير رقبته. ولكنه عاد وراجع نفسه وفكر أن يبقى على حياته بدلا من أن تضيع هدرا وأن يظهر له كل مهارات الفروسية التى يعرفها ويريه قدرته على القفز والطيران بحرية. استل "بوشى تسونيه" سيفه وقفز من فوق رأس "بنكى" وكأنه عفريت الجبل الطائر، فأغمض "بنكى" عينيه من الخوف والدهشة وتسمر فى مكانه.. بينما ضربه "يوشى تسونيه" بظهر السيف فى كوعه ثم خطف سيفه وقفز مرة أخرى إلى الوراء مقدار ثلاثة أذرع بقفزة واحدة وصاح قائلا: "ياله من سلوك راهب بغيض يحمى نفسه بدروع يلبسها فوق ثوبه ويستحيل شكله غريبا قبيحا هكذا من كثرة ما اقترفه من سيئات".

وما كان من "بنكى" إلا أنه أخذ يتمتم قائلا: "لقد نازلت الكثير من الرجال حتى هذا اليوم، ولكن ها هى المرة الأولى التى يذلنى فيها أحد.. وممن ؟ من تابع صغير.. يالوعتى".

وظل "بنكى" فى مكانه بلا حراك. وهنا سأله "يوشى تسونيه" قائلا: "أتريد هذا السيف"؟ فتكابر "بنكى" وقال وهو يتصنع رباطه الجاش: "وهل أطمع فى شئ هو ملك لى بالفعل" ؟ فقال "يوشى تسونيه": "إذن فها هو لك"، ثم قذفه مصوبا أياه ناحية الدرع المثبت على حزام بطن "بنكى" واستطاع أن يلتقطه من الهواء دون أن يدعه يسقط منه ثم غمده فى غمد سيفه الفارغ وحين طالع "يوشى تسونيه" وجده مجردا من أى سلاح، ومع ذلك فقد كان يحس بأنه ليس ندا له بالرغم من شجاعته وجسارته، على أى حال فقد فرد "بنكى" ذراعيه عن اخرهما وصاح وهو يعدو تجاه "يوشى تسونيه" قائلا: حسنا تقدم إلى. ولكن "يوشى تسونيه"

زاغ منه ومرق تحت أبطه الأيمن، فالتفت "بنكى" كى يرى أين ذهب، ولكنه لم يلمح له أثرا. فتملكنه الدهشة وأخذه العجب.. فهل طار في السماء وهرب أم غطس في الأرض واحتجب. ظل "بنكى" واقفا فى مكانه لفترة يحاول أن يستجمع قواه وأعصابه وأخذت تراوده الأفكار والهواجس فقال في نفسه: لأن أله هذا المعبد عن عداه من الآلهة أله رحيم عطوف فقد يكون قد تجسد فى صورة رجل وجاء كى يحاسبنى على ذنوب مكابرتى وغرورى واقترافى للمعاصى بعد أن صبغت ثوبى بالسواد وجاء كى يجعل قلبى يلين ويحنو على العباد بعد أن احتقرتهم وأسات معاملتهم، فيالها من نعمة وبركة".

وقد اقترب "بنكى من المحراب وبدأ يصلى".

ومع كون "بنكى" مقترفا للذنوب وخارقا للعهود فقد كان عالما دارسا ملما بما فى الكتاب البوذى وما ليس فيه، ومقرئا مبدعا لآيات الكتاب كذلك فقد أكمل كل الفروض والأركان، وقد أخذ يدور حول المحراب وهو يصلى ويقول "فلأقلع عن شرور نفسى ورغبتي فى مخالفة العرف والقوانين ولأقضى حياتى سالما مسالما". ثم خرج من المعبد، وبعد أن سار - مسافة خمسمائة متر تقريبا وتوقف وشعر كأنما ضميره قد صحا فجأة وسار يحادث نفسه قائلا: "قد يكون من قابلته الليلة ألها أو قد يكون "بوذا" نفسه أو ترى من يكون"؟

وماذا عساى أن أفعل لو صادفته فى طريقى يوما ما ؟

فلتمنحنى الآلهة مهلة لمدة مائة يوم، ولو قابلت خلالها ذلك الرجل فسوف أشتبك معه حتى نفنى بعضنا البعض فأموت أنا أو يموت

هو، أما إذا لم أقابله فسوف أطهر ثوبى وأطهر قلبى بكل إخلاص وأصير فى شكل "بوذا" واذهب إلى الجنة فى الآخرة، فهل هناك ما هو أصعب من ذلك؟ ثم رجع إلى المعبد مرة أخرى وصلى، وبعد ذلك عاد أدراجه إلى "كيوتو".

حكاية لقاء "بنكى" بـــ "يوشى تسونيه" فى معبد "هوشووجى"

وبعد ذلك بشهر وفى ليلة الرابع عشر من الشهر السابع خرج "بنكى" فى نفس زينته وملابسه متوجها إلى معبد "هوشووجى" فى شرق العاصمة "كيوتو" وكان يمسك بيده اليمنى عصاه المعهودة وقد كسر جزء منها وعندما دخل "بنكى" إلى بهو المعبد استوقفه عزف شجى عذب للناى يصدر من مكان ما، وعندما تتبع مصدر الصوت وجد نفس الصبى الذى تقاتل معه من قبل فقال حانقا فى قرارة نفسه "عليك اللعنة" ثم اقترب منه ولكزه بكعب السيف طويل المقبض فى ساقه اليمنى ولمس شعر رأسه بمروحة كان يمسكها، وصفر له صفارة بفمه كى ينبهه إلى وجوده، فالتفت "يوشى تسونيه" وحين رآه وعرفه قال فى نفسه "آه أنه ذلك الرجل البغيض مرة أخرى"، ثم سار مسافة حوالى مائة متر، وفجأة التقط حجرا مدببا من الأرض وقذفه ناحية "بنكى" ولما كان

"يوشى تسونيه" ماهراً حاذقاً فى قذف الطوب فقد انطلق الحجر من يده وكأنه سهم منطلق فارتطم برأس "بنكى" تناثرت شظايا الحجر هنا وهناك. شعر "بنكى" فى لحظة وكأن الدنيا قد اظلمت أمام عينيه، ولكنه تحامل وثبت إقدامه فى الأرض وأخذ يكز على أسنانه كى يغالب الالام، وبعد أن استعاد وعيه أخذ نفسا عميقا وأخرج زفرة طويلة ثم قال "أن ذلك الصبى لقاذف بارع بالحجر" ولكن لأن راسى هذا رأس من حديد منذ أن وعيت على الدنيا فلم تتكسر ولم يحدث لها شئ حسنا لقد جاء دورى الان كى أرد عليه" استل سيفه وأشهره واندفع ناحية "يوشى تسونيه" ولكن حين لمحه "يوشى تسونيه" يقترب نحوه قال له "احترس فحولنا الكثير من القوم" تعال معى إلى هناك "وكان يشير بإصبعه إلى الساحة التى يعلوها برج المعبد. ولكن "بنكى" واصل هجومه فجرى نحو "يوشى تسونيه" وهو يحنى ظهره موجها السيف إلى الإمام، ولكن "يوشى تسونيه" تفاده بطريقة ما وقفز إلى الخلف بعيدا، ثم قفز إلى الخلف مرة أخرى إلى أعلى سطح من أسطح المعبد الخمسة ثم قفز إلى سطح الدور الثانى ثم الثالث حتى وصل إلى الخاذوق الطويل الموجود فوق البرج فجلس تحت قاعدته وقال "لبنكى" "أيها الراهب.. إذا كنت مازلت تريد العراك معى فاصعد إلى هنا وسوف أريك" ولكن "بنكى" اكتفى بان يطالعه من أسفل البرج وهو يشتعل غضبا ويتمتم قائلا: "أنه ليس يائس.. ليس يائس على الإطلاق" ثم أعطى ظهره للبرج وسار فى طريقه عائدا إلى المكان الذى كان يبيت به.

حكاية لقاء "بنكى" و"يوشى تسونيه" في معبد "كيو ميزوديرا"

وفى مساء اليوم السابع عشر من الشهر الثامن قام الفتى "يوشى تسونيه" بزيارة معبد "كيو ميزوديرا" بالعاصمة لأداء الصلوات وتوجيه الدعوات حيث كان القمر مكتملا يضئ المكان.

أما "بنكى" فقد توجه هو الاخر إلى المعبد فى ملابسه المعروفة وعدته المعهودة. وقد جرت العادة على أن يعج المعبد بالزوار والمصلين فى هذا اليوم من السنة من عامة القوم وعليتهم، وقد تراصت الجموع من الرهبان العامة والرجال والنساء حتى صاروا عند حافة المقام الخشبى الذى وضع فوقه تمثال بوذا.

ولما كان بنكى لا يضع اعتبارا لغنى أو فقير أو كريم أو حقير فقد بدأ يلوح بسيفه وخنجره الطويل فى الهواء لكى يفسح لنفسه طريقا بينهم، وبالفعل تملك الرعب من الناس فأخذوا يتراجعون إلى الوراء مفسحين له الطريق. وحين وصل "بنكى" إلى حافة

المشربية الخشبية للمقام وركع على ركبتيه كى يبدأ صلاته فوجئ بالفتى "يوشى تسونيه" جلس هناك، شهق بنكى من الخوف وارتعدت فرائصه وهو الذى لم يخف أحدا ولم يعرف الخوف إلى قلبه طريقا، وقال "بنكى" محدثا نفسه: "ويحك يا قلبى ما هذا الضعف الذى حل بك"؟. ثم استجمع "بنكى" قواه وأعصابه وهو يقترب من الفتى، وقال فى نفسه وهو يعتريه التردد والقلق: "أليس من الخزى أن يجلس رجل من عامة القوم فى مقام أعلى من مقامى وأنا فى ثياب الرهبان هذه". ولما كان الفتى مستغرقا فى صلواته ضاماً كفيه ضارعا فى خشوع، فقد رأى "بنكى" فى هذا فرصة سانحة كى يباغته، فمد يديه فى هدوء إلى الأمام يريد أن يغترف الفتى من ابطيه ثم يلقيه أرضا، ولكن الفتى فجأة رفس "بنكى" فى صدره بساقه اليمنى فأرتمى على ظهره محدثا ضجة كبيرة ولما كانت سقطته هذه بجسمه الكبير وبعدته تلك الكثيرة غير متوقعة على الإطلاق فقد انتفض واقفا وانطلق يدفع الناس أمامه ويدوسهم بقدميه فسحق الكثيرين منهم. وقد حادث "بنكى" نفسه متعجبا وهو يقول: "يا للخزى والعار.. ماذا عساى أفعل حيال تلك العيون الكثيرة التى رأتنى أسقط على الأرض"؟.

فكر "بنكى" فى سرعة وعمق ثم قال بصوت عال وهو يحاول أن يتظاهر برباطة الجاش "ما هذا أيها السيد "يوشى تسونيه" أتهرب منى والنزال لم يبدأ بعد". ثم بدأ "بنكى": يتصرف أمام الناس وكأنه على صلة بالفتى "يوشى تسونيه"، فاقترب مرة أخرى منه مغلوبا على أمره وجلس درجة أسفل الدرجة التى كان يجلس فوقها الفتى ثم بدأ يتظاهر بالخشوع فى الصلاة، ثم رمق الفتى

بنظرة غاضبة محمومة وقال: "أيها السيد.. ألا تعرف أن الراهب حين يأتي المعبد للصلاة يجلس في المقام الأعلى بينما يجلس من دونه من العامة في المقام السفلي؟ أن ما فعلته لهو مخالف لكل عرف ومخالف للتعاليم البونية، أنك لم تترك المكان لي وتذهب فحسب.. بل أنك فوق هذا تطاولت علي وقمت بالشغب، ياللك من همجي بربري".

حين سمع "يوشي تسونيه" هذا الكلام رد قائلا: "ياللك من راهب عليم بالأمور. أتقول بان عامة الناس لا يفقهون شيئا من تعاليم بوذا؟ أنني أعلم تماما بأنه يجب علي أن أترك المقام الأعلى إذا رأيت من يلبس عباءة الرهبان على كتفه، ولكني حين نظرت إليك لم أجدك في هيئة الرهبان، ورأيتك تلبس الدروع على جسمك.. وكان أجدر بك أن تشكر الأقدار لأننا تركناك على حالك هذا داخل بهو المعبد دون أن نقذف بك خارجه". لقد وجه الفتي كلماته وهو حانق مشمئز ثم عاد إلى صلواته مرة أخرى.

حين رأى زوار المعبد ما حدث ورأوا ما جرى نظروا إلى بعضهم البعض وقالوا: "ترى من يكون ذلك الفتي حتى يفعل ما فعله بذلك الراهب المخيف الذي يشبه الشيطان؟ ياله من أمر مرعب". وكان من بين زائري المعبد راهب من جبل "كوراما" – شمال كيوتو – وقد تعرف على وجه "يوشي تسونيه" وقال: "أن هذا السيد هو "يوشي تسونيه" من أشراف عشيرة الـ "جنجي".. سيدي "يوشي تسونيه"، تفضل هنا أن وجودك بيننا لأمر عظيم جليل". حين سمع "بنكي" كلمات الراهب تأكد من أن هذا الذي يواجهه هو "يوشي بلا أدنى شك، فعدل جلسته وزحف وهو

جالس على ركبتيه إلى الأمام قليلا قال ـــ "يوشى تسونيه" بصوت خفيض: "هل تستطيع أن تخمن من أكون؟.. أن اسمى راهب المعبد الغربى "موساشى بووه بنكى"، هل أنت "كوروووه يوشى تسونيه" ابن "يوشى طومو" حاكم مقاطعة "قوساما""؟. فرد عليه "يوشى تسونيه" قائلا: "لقد كنت أسائل نفسى كثيرا عمن تكون.. من حسن حظك أننى أبقيت على حياتك ولم أقتلك، حسنا.. أأنت راهب المعبد الغربى "بنكى" وابن كبير موظفى "قومانو" ؟ ثم أخذ "يوشى تسونيه" يقهقه ضاحكا، فقال له بنكى "لقد أرتني الكثير فى مهاراتك فى القتال، وكانت حيلك الغريبة التى تجعلك تتحرك وتطير فى حرية تامة حائلا دون أن أستطيع التغلب عليك، ومع ذلك فما رأيك فى أن تنازلنى مرة أخرى". وافق "يوشى تسونيه" على تحدى "بنكى" له ولكنه اشترط عليه قائلا "لا تحاول خداعى ومغافلتى، وهذه المرة ستكون المعركة حاسمة فاما أن تطير رقبتى أو تطير رقبتك". فقبل "بنكى" شرط "يوشى تسونيه" ووضع هو الاخر شرطه قائلاً إذا كان الأمر كذلك فإذا كسبت أنا النزال ولم تقتل فيجب عليك أن تكون تابعا لى وتنسى أصلك وفصلك تماما فأجدادى الأقربون أنا أيضا كانوا يحكمون هذا البلد، أما إذا منيت أنا بالهزيمة ولم أقتل فاعاهدك على أن أكون تابعا لك فأقوم على خدمتك ليل نهار دون أن أكل أو أمل".

حين سمع "يوشى تسونيه" شروط "بنكى" حدث نفسه قائلا: "على أى حال فلن يستطيع أن يغلبنى، وحينما أهزمه وأخضعه فعليه أن يكون مستعدا لإطاعة أوامرى حتى يصير فارسا قويا تساوى قوته قوة ألف رجل "ثم قال مخاطبا "بنكى": "حسنا فلنحسم

الأمر بالسيف، ولكنى أرى البهو هنا يعج بالناس.. والأفضل أن نبتعد عن عيونهم"، بعد أن أنهى "يوشى تسونيه" جملته تظاهر الإثنان بحسن العلاقة وسارا معا حتى خرجا من بوابة المعبد ونزلا على الطريق المنحدر المواجه للمعبد، وهنا تساءل "يوشى تسونيه" قائلا: "حسنا أين سيكون مكان النزال"؟، فرد "بنكى" وهو يشير إلى كوبرى المربع الخامس "جوجووهاشى" قائلا: "فليكن هناك".

توجه الاثنان إلى الكوبرى ووقفا فى منتصفه، فبدأ "يوشى تسونيه" فى التعريف بنفسه قبل النزال قائلا: "أنا "جن كوروره يوشى تسونيه" أبلغ من العمر تسعة عشر عاما"، ثم استل سيفه.

كذلك عرف "بنكى" نفسه قائلا: "وأنا فتى عمرى ستة وعشرون عاما"، ثم استل سيفه ذو الأربعة أقدام وست عقلات، والتحم الاثنان فى منتصف الكوبرى.. هذا فى الوقت الذى تجمع فيه جمهرة من الناس الذين كانوا يمرون بالكوبرى لزيارة مقام "بوذا كاننون"، فسدوا مداخل ومخارج الكوبرى وهم يتدافعون كبيرهم وصغيرهم كريمهم وحقيرهم لكى يشاهدوا ذلك المشهد العجيب.

وكان كل منهما يريد إخراج كل ما فى جعبته من فنون القتال، فكانت السيوف تتلاحم وتنفلت من بعضها، وكلما اصطدم السيفان كان الشرار يتطاير منهما.. وكانا يطلقان الصيحات العالية كلما انقضا على بعضهما البعض.

كان "بنكى" يخوض القتال وهو يثبت عدته فى حزام بطنه، ومن حزام البطن هذا كان يبرز طرف سيفه، ومن تحت سوالفه كان العرق يتصبب غزيرا. ولما كان جسم "تسونيه" خفيفا وسريعا

فى حركته مثل الفراشات والطيور، ففى إحدى القفزات المشتركة مع "بنشى" ضربه بالسيف تحت ركبته وحين ارتد "بنكى" على أثر الضربة إلى الخلف انتهز "يوشى تسونيه" هذه الفرصة وانقض على "بنكى" وخطف منه السيف ثم قفز إلى الخلف على شاطئ النهر ثم صاح قائلا: "إذن.. فلتنفذ عهد التبعية الآن يا "بنكى".

حينئذ عجز "بنكى" عن الكلام، وقد حاول أن يكابر ويغطى الموقف، ولكن الكلمات لم تجد طريقها إلى شفتيه فاستسلم لـ "يوشى تسونيه". وهنا قال "يوشى تسونيه": "بنكى.. كونك ستصير تابعا لى ليس يعنى أن تكون سعيد الحظ، فسوف تفرض عليك حياة تعسة رغما عن أنفك وسوف تضطر دائما إلى الهرب من عيون الناس.. ولذلك فإننى أشعر بالشفقة عليك". ولكن "بنكى" رد عليه قائلا: "لا عليك من ذلك، فقد كنت أتحمل مسئولية كلماتى حين امتثلت لعهد التبعية، وأرجو ألا تعبأ بأمرى وأن تعود إلى المكان الذى كنت تختبئ به".

بعد أن أنهى "بنكى" جملته سار جنبا إلى جنب مع "يوشى تسونيه" مخترقين طرقات العاصمة.

حكاية ذعر عشيرة الـــ "هيكى" من تحالف "يوشى تسونيه" و"بنكى"

حملت الريح أنباءً إلى مسامع كبير عشيرة الـــ "هيكى" وهو "كيومورى".. تفيد بأن كلا من "يوشى تسونيه" و"بنكى" يتجولان بطرقات المدينة جنبا إلى جنب وهما يصيحان ويتوعدان بإفناء أبناء عشيرة الـــ "هيكى"، فقال "كيومورى": "أنه أمر لا يستهان به، فبدلا من أن يحفظ ذلك الفتى جميلى حين أبقيت على حياته أثناء اضطرابات "هيجى" ولم أقتله، ها هو يتنكر للجميل ويخطط لإفناء عشيرتنا وفوق ذلك فهو يتخذ من بلطجى يدعى "بنكى" حليفا له.. فيا للعجب. أقبضوا أيها الرجال على هذين التابعين وأحضراهما إلى هنا". انصاع الساموراى التابعون لـــ"كيومورى" للأمر وانطلقوا لتنفيذ المهمة، ولكنهم لم يستطيعوا القبض عليهما بعد أن استنفدوا جميع ما عرفوه من مهارات الحرب والطعان. وبدا الأمر كما لو كان أبناء العشيرة مثل تنين عبث بذقنه أو مثل

نمر داس بعضهم على ذيله، فهاجوا وماجوا ولم تعد لهم راحة بال حتى يصلوا فى معبد أو يزوروا مقاما فقد كان شغلهم الشاغل كيفية القبض على "يوشى تسونيه" وتابعه.

وفى أحد المجالس بينما كان أبناء العشيرة يتشاورون فى كيفية القبض على الرجلين، مثل رجل بين يدى "كيومورى" وقال له: "إن ذلك الـــ "بنكى" هو أحد مريدى الراهب "كيشين" من بلاد "هووكى"، فإذا استدعينا ذلك الراهب إلى هنا فسوف نجعله يدلنا على مكان "بنكى". فلما أنهى الرجل جملته قال "كيومورى": "فكرة لا بأس بها.. فلننفذها".

وبعد مرور بعض الوقت جمع "كيومورى" ثلاثمائة فارس وضع على رأسهم اثنين من أشرس وأقسى رجاله وهما "نامبا" و"سينوأوه" وأرسلهم فى طلب الراهب "كيشين". حين وصل الفرسان إلى المكان المقصود حاصروه حصارا شديدا فى عدة حلقات متداخلة فى بعضها، ثم دخل رسول منهم إلى المكان وقال للراهب "كيشين": "هناك راهب ملعون كان تلميذا عندك واسمه "بنكى" قام بالتحالف مع "يوشى تسونيه" من أجل الأخذ بثأر قديم من عشيرتنا.. فإذا كان موجودا عندك فلتسلمه لنا".

"لقد كان الذى تطلبونه موجودا عندى لبعض الوقت، ولكن كل من بالجبل ضاقوا به ذرعا وشكوه لى فطردته من الجبل، ومن ساعتها ونحن لا نعلم عنه شيئا". فقال الرسول له "إذا كان الأمر كذلك فلتحضر معنا إلى العاصمة كيوتو ولتخبر ولى الأمر به" فرد عليه قائلا: "على أى حال إذا وجدتم ذنبا أو لوما على فلتفعلوا ماشئتم بى"، ثم وضع عباءته البرتقالية المعطرة على كتفه

وليس ثوبا من نفس القماش وركب المحفة فحمله الرجال ونزلوا به الجبل.

وفى هذه الأثناء كان كل من "يوشى تسونيه" و"بنكى" فى ناحية شمال "شيراكاوا" بـ "كيوتو"، وقد وصل إلى مسامع "بنكى" ما حدث لـ "كيشين" فقال لـ "يوشى تسونيه": "إن استدعاء معلمى إلى قصر "روكوهارا" هو بالتأكيد له علاقة بأمرنا، وأنه لأمر يدعو للرثاء أن يصيب معلمى مكروه بسببى والواجب علىّ أن أقف بجانبه. دعنى أستأذنك فى أن أسلم نفسى لأبناء عشيرة الـ "هيكى" فداءً لمعلمى "كيشين". وهنا انهمرت الدموع غزيرة من عيون "يوشى تسونيه" وقال: "إذا كان الأمر يمس معلمك فليس عندى ما أقوله، ولكنى أريدك أن تصبر وترجع عن عزمك حيث إنهم حين يتأكدون من أنه ليس له علاقة بالأمر فسوف يعيدوه إلى الجبل ولا يعنى تسليمك نفسك لهم سوى الإطاحة برأسك". ولكن "بنكى" أكد على كلامه قائلا: "حتى ولو قطعت رقبتى.. فسوف تخرج روحى وتنتقم من عشيرة الـ "هيكى" وتفنيهم على الفور وسوف تصير روحى هذه إلها حاميا لعشيرة الـ "جنجى" لا محالة، أما إذا كتب لى عمر فسوف أهرب بطريقة أو بأخرى وأعود إليك مرة أخرى". وبعد أن أنهى "بنكى" جملته انطلق مغادرا المكان.

كان من بقى لـ "بنكى" فى هذه الدنيا اثنان: "يوشى تسونيه" الذى يدين له بالولاء والطاعة فى الدنيا والآخرة، والمعلم "كيشين" الذى سيرشده ويعلمه فى الدنيا والاخرة، ولم يكن لـ "بنكى" أن يتنكر لواحد منهما أو يرفض له طلبا. ولكنه قرر أن يرد جميل

من كان كل حرف قد علمه له يساوى أمامه قيمة ألف عملة ذهبية. وأذرف "بنكى" الدموع المدرارة من عينيه المحتقنتين بينما كان يقطع الطريق مسرعا نحو قصر "روكوهارا".

وفى الطريق عرج "بنكى" على كوخ من الخوص يقيم به صديق قديم له، وقد قال لصديقه هذا: "لقد علمت أن معلمى الراهب "كيشين" تم اقتياده إلى قصر "روكوهارا" بسبب تعديات اقترفتها أنا، وأننى الان أتوجه إلى ذلك القصر لكى أحاول إعادته إلى الجبل، وسوف أعهد إليك بأن تحتفظ بهذه الأسلحة عندك، فإذا سمعت بنبأ مصرعى فى قصر "روكوهارا".. فقم بتحضير جنازتى وتأجير راهب للقيام بالطقوس بثمن حزام البطن هذا وتلك السيوف، أما إذا عدت حيا فسوف أستردها منك".

بعد أنهى "بنكى" جملته هذه خرج تاركا الرجل. وكان ما يلبسه "بنكى" ذلك اليوم هو ثوب برتقالى معطر بالعبق وعباءة مغزولة من الصوف الخشن، وعلى رأسه ربط منديلا من القماش بحيث تظهر جبهته من الأمام فى شكل مثلث، وفى نطاقه كان هناك غمد سيف أسود.

انطلق "بنكى" مسرعا فى اتجاه المحفة التى تحمل "كيشين" والتى كان يحيط بها "سينوأوه" ورجاله ولحق بالركب فى لمح البصر.

وأمسك "بنكى" بعرقى المحفة وصاح بصوته الجهوري قائلا: "إلى أين تزمعون اقتياد "كيشين". فارتعد من كانوا يحملون المحفة ويحيطون بها من الخوف وأجابوا قائلين: "إلى قصر "روكوهارا"" فقال "بنكى": "إذا كان الأمر مناسبة دينية أو إقامة للشعائر

والصلوات فلن يلزم وجود هذا الحشد الهائل من العساكر.. أخبروني ماذا حدث". سمع الراهب ذلك الحوار من داخل محفته فقال دون أن يظهر نفسه: "لا أعرف من أنت أيها السائل.. ولكنى على أى حال ذاهب لكى يسألونى عن مكان "بنكى". فرد "بنكى" قائلا وهو يدفع المحفة للخلف: "حسنا.. إذا كانوا يريدون "بنكى" فها أنا هنا.. فما حاجتهم الان إلى كهل عجوز، وما الداعى إلى اقتياده إلى قصر "روكوهارا".. هل هم يتطلعون إلى دروس فى البوذية أم إلى سماع المواعظ من راهب كهل لا حول له ولا قوة. فلتعد بسرعة أيها الشيخ إلى الجبل".

وهنا أذرف الراهب "كيشين" الدموع وهو يقول: "ما يحدث الان منك هو أول تصرف إنسانى أعهده منذ كنت صبيا وحتى بلغت الشيخوخة، أسمع يا بنى.. أننى الان شيخ كهل ولم يعد لى فى هذه الدنيا سوى أيام معدودة، اما أنت فما زلت فتيا ويمكنك أن تصل ما انقطع من عمرى بعمرك فتترحم على روحى بعد أن أموت وتطلب لها المغفرة وطالما كنت مظلوما ومفترى علىّ فسوف يصدقك جماعة الـ "هيكى" فى يوم من الأيام، وحيث إننى قطعت الطريق من الجبل حتى هنا فيجب علىّ أن أكمله حتى قصر "روكوهارا". رد "بنكى" قائلا "إذا كان هذا هو قرارك فسوف أذبح كل هؤلاء الحراس وأقطع بطنى بالسيف، أما إذا غيرت رأيك وعدت إلى الجبل فسوف أجعلهم يكتفونى ويأخذونى بدلا منك إلى "روكوهارا". وبعد أن انهى "بنكى" جملته وقف منتصبا يكز على أسنانه، وقد بدأ فى وقفته هذه مخيفا مرعبا لا يماثله فى شراسته إنس ولا جن. وهنا قال الحراس لبعضهم

البعض: "لقد كان اقتيادنا لـــ "كيشين" إلى قصر "روكوهارا" من أجل معرفة مكان "بنكى"، ولحسن الحظ فها هو "بنكى" بنفسه يطلب الذهاب معنا.. وطالما صار الأمر كذلك فما باليد حيلة، فلنعد "كيشين" إلى الجبل". وبالفعل أدار الحراس المحفة إلى اتجاه الجبل فقال "بنكى" لـــ "كيشين" وصوته يتهدج من البكاء: "منذ أن تركت الجبل وأنا أقضى الأيام والليالى الطويلة فى بكاء مستمر ندما على أننى أغضبتك فى يوم من الأيام، والآن أرجو منك أن تغفر لى كونى أغضبتك فى يوم من الأيام". وهنا رد عليه "كيشين" قائلا وهو يغطى وجهه بكمه محاولا أن يحبس الدموع: "لقد كانت الشكوى صادرة من كل رهبان الجبل.. ولذلك لم يكن بيدى شئ، وما أريد منك أن تعلمه أننى لم أغضب ولن أغضب منك أبدا". فقال "بنكى": "إذن فقد بنيت كراهيتى كلها على أساس من سوء الفهم ولكن تكن قد تنكرت لى وتبرأت منى.. يا لحزنى" وأخذ "بنكى" يبكى كثيرا. أما الحراس فقد أشفقوا على "بنكى" فى البداية وقالوا: "عجبا.. ألهذا المخلوق المرعب دموع أيضا"، ولكن ما لبث ذلك الإشفاق أن تحول إلى سخرية.. فتضاحك الحراس عليه.

وبعد مرور فترة من الوقت عاد الراهب "كيشين" إلى الجبل. أما "بنكى" فإنه قبل أن يفارق "كيشين" سلمه سيفا قصيرا كان معه ثم مد يده للحراس كى يكتفوه ففعلوا، ثم وقف متسمرا فى مكانه وهو يشيع معلمه "كيشين" بعينيه بينما لم يكن يريد فراقه.. فيا له من مشهد يثير الحزن والحسرة.

حكاية دخول "بنكى" لقصر "روكوهارا"

وبعد ذلك قال "بنكى" للحراس: "قد يغضب كبار العشيرة إذا رأونى أمتطى حصاناً عظيما مثل هذا فانزلونى من عليه واجعلونى أمتطى حصانا عاديا مثل الذى تركبونه". وبالفعل أنزله الحراس وجعلوه يمتطى حصانا عاديا وعادوا فرحين بحصولهم على غنيمتهم الكبيرة، أما "بنكى" فأخذ يحادث نفسه قائلا: "وحق الألهة حتى ولو قيد تمونى بعشرة أحبال فسوف أقطعها وأحقق ماربى". ثم أخذ يضحك ساخرا حتى وصل مع حراسه إلى قصر "روكوهارا"، وحينما وصل إلى مسامع "كيومورى" أن الحرس وصلوا وبصحبتهم "بنكى"، اغتبط كثيرا وخرج بنفسه إلى الحديقة الأمامية للقصر ومن حوله الحاشية والاتباع، وكان يحوط بنكى عشرة من الأشداء الساموراى يتجاذبونه من الحبل الذى يربطونه به.

حين اقتاده الرجال وأوقفوه أمام "كيوموري".. قال له واحد من الحراس: "اركع.. أنك الآن أمام السيد "ذيوموري". وحينما شرع ذلك الحارس في أن يجعله ينحني.. دفعة "بنكي"، وتقدم نحو "كيوموري" حتى صارت المسافة بينهما لا تتعدى ثلاثة أذرع، فقال له "كيوموري": "إنك الان أمام السيد المعظم أيها الراهب". وحين سمع "بنكي" هذه العبارة رد على الفور قائلا: "من ذلك الذي تدعوه "المعظم"؟ إنك حتى وإن كنت من أحفاد الامبراطور "كانمو" فإن صلتك بعيدة كل البعد عنه بسبب الهوة الزمنية التي تفصلك عنه، إنني أعلم أنه جد عشيرتكم الـ "هيكي" وأن أطفال المدينة كانوا ينعتونك بـ "الولد ذو القبقاب العالي" ويسخرون منك، وأنك كبرت وعظم شأنك وخرجت على وجه الدنيا لتجد نفسك حاكما لمقاطعة "أكي"، وأنك الآن تنسكت ودخلت طريق البوذية وأسميت نفسك "جووكاي" أنني أيضا حفيد لامبراطور وهو "تينجي" وأنا من الفرع الصغير للعائلة وهو فرع "سوزوكي"، وأبي هو "بنشين" كبير موظفي معبد "قومانو" فهل أنقص عنك في شئ ؟ ولمن تطلب مني أن أركع أذن"؟

غضب "كيوموري" غضبا شديدا حين سمع كلام "بنكي" وقال "حسنا.. أخرجوا ذلك الراهب من هنا"، فتجمع الساموراي وتكاثروا على "بنكي" وحاولوا أن يدفعوه بأياديهم، ولكنه لم يتزحزح شبرا واحدا وكأنهم في حالهم هذا مثل الذي يحاول زحزحة دوحة ضخمة جذورها ضاربة في الأرض. وقد خرج النبلاء من القصر كبيرهم وصغيرهم إلى الشرفات وإلى الساحة الأمامية للقصر المفروشة بالحصى الأبيض، وذلك لكي يتفرجوا

على ذلك الـــ "بنكى" الذائع الصيت، كذلك لم يبق حارس من الحراس الساموراى إلا و:رك موقعه وجاء للساحة للمشاهدة.

وهنا قال "بنكى" بصوت خفيض لحراسه: "إذا أخبرتمونى بأسماء كل أمراء الـــ "هيكى" الموجودين بالشرفة وبالغرفة المنعقدة بها الوليمة فسوف أتصنع أنكم استطعتم أن تحركونى وأخرج معكم خارج أسوار القصر."، فاغتبط الجند كثيرا لسماعهم ذلك وقالوا له: "حسنا سنخبرك بأسمائهم.. على يسار السيد "كيوموري" ابنه "شيجيه موري" المشهور بـــ "قوماتسو دونو"، وأمير عسكر الميمنة "مونيه موري"، ثم نائب رئيس الوزراء الجديد "توموموري"، ثم نقيب الجيش من الدرجة الثالثة "شيجيه هيرا"، أما عن يمين مولانا الناسك "كيوموري" فهناك نائب وزير الميمنة "توكى تادا"، ثم حاكم مقاطعة "ميكاوا" وهو "تومونوري"، ثم موظف البلاط من الطبقة الثالثة "ميتش موري"، ثم حاكم مقاطعة "نوتو" وهو "نوري تسونيه" الذى هو فى نفس الوقت أمين السر للبلاط الامبراطوري".

وهكذا أخبره الحراس بأسماء رؤوس العشيرة وألقابهم الحربية مثل "حاكم منطقة "أيتشووه" القديم و"أكوشيتشى بيووايه" وغيرها من الألقاب والأسماء.

وقد مر "بنكى" بعينيه بسرعة على الموجودين بالشرفة وقال فى نفسه: "أأنتم أعداء سيدى؟ أأنتم الذين تشغلون فكره وتؤرقونه أينما يكون.. فى أقاصى السهول أو فى أعماق الجبال؟ فلأختر اللحظة المناسبة فأقطع تلك الأحبال التى تكبلنى ثم أخطف أحد السيوف وأطيح بها رأس "كيوموري" التى يكسوها الشعر الأبيض، ثم

أنازل بعد ذلك ابنه "قوماتسو" والاخرين.

وقد شرع فى قطع أحباله بالفعل، ولكنه تراجع.. فقد يرغب "يوشى تسونيه" فى أن يقتص بيده هو ولو من واحد من عشيرة الـ "هيكى" التى مصيرها كلها الفناء. وبينما كان "بنكى" سارحا فى أفكاره لمح عينى الوزير "قوماتسو" وأحس بنظراته فقال: "أيها الجنود خذوا حذركم ودبروا أمركم بخصوص هذا الحبل المقيد به الا تعرفوا حرفيا متخصصا يأتى ليقيده بأربطة من السلك والحديد"؟

حين سمع "بنكى" كلمات "قوماتسو" ضحك مقهقها بصوت عال وقال: "طالما كنت موجودا هنا سيحميك الحرس فلنخرج سويا إلى خارج القصر".

وبعد أن أنهى جملته دفع الحراس الذين كانوا يمسكون بالأحبال المكتف بها وتقدم مقتربا من "سينوأووه"، وحين رأى "كيومورى" ذلك الوضع قال: "يالفظاعة هذا الراهب.. إن نظراته تتجرأ حتى علىّ أنا، احترسوا منه ولا تضعوه فى مكان قريب من هنا".

وعلى الفور امتثل الساموراى للأمر وبدأوا يغلقون البوابات الكبيرة والصغيرة وتكاثروا حول المكان بحيث لم يتركوا منفذا واحدا يسمح بعبور أحد.. فقال "بنكى" حين شاهد ذلك: "إن عالم الموت والتهلكة موعود للإنسان الغارق فى نزواته الدنيوية.. وهو الذى لا يأتى حين نرغبه ولا يرحمنا إذا أتى ونحن لا نرغبه.. الرحمة يا إلهى".

بعد أن قال "بنكى" تلك العبارة قهقه ضاحكا فى سخرية، فلما سمعه الساموراى الصغار الذين كانوا متجمعين خلف الأبواب

يتصنتون قالوا لبعضهم البعض: "إنه ذلك الـ "بنكى" الذائع الصيت.. لقد خرج قومنا بحثا عنه وها هو أتى إلينا بقدميه. إننا لمحظوظون فلن يلبث "يوشى تسونيه" أن يقع فى أيدينا أيضاً مثلما حدث لـ "بنكى" بالطبع لن يخبرنا "بنكى" عن مخبأ "يوشى تسونيه" ببساطة، فساعتها سنرغمه بالكى بالنار أو بتغطيس وجهه بالماء".

وبينما كانوا يتهامسون فى ذلك الأمر. وصل ذلك الهمس إلى أذان "بنكى" فحادث نفسه قائلا: "إنه لشئ يدعو للحسرة إذا كانوا ينوون استجوابى عن شئ ما فهم لا يعرفون أننى امتلك قوة ليست لدى البشر العاديين، وإذا أحسست بأننى ساعترف فسوف أشد قيودى هذه واقطعها ثم أنزع عروق سقف البيت وأضمها تحت أبطى وأخبط وأقلب بها من يتعرض لى أو يقف فى طريقى فأنا إن سابقا أو لاحقا أنوى العودة للقاء "يوشى تسونيه". ثم حادث نفسه مرة أخرى قائلا: "وما لا تعرفونه أيها السادة أننى أعرف الكثير من الأشياء والأمور مثل العلم والنزال والعراك والمصارعة اليابانية وعدا ذلك سرعة الحركة فى القتال وغيرها من الأشياء.. وليست هناك شجرة ولا عشب إلا وأعرفها. إلا أننى لم أجرب التعذيب بعد.. ولا أعرف إذا كان حلوا أم مرا، وأود لو أجربه" ثم فتح شدقه الكبير على وسعه وأخذ يضحك، فلما قام الحراس بإبلاغ "كيومورى" عن تصرفه هذا قال "كيومورى": "حسنا تصرفوا مع ذلك الراهب التصرف المناسب".

وبينما كان "كيومورى" منقلب المزاج معتكر الوجه تقدم من بين الموجودين واحد من كبار الموظفين اسمه "كيتشى ناى زائيمون"

ومثل بين يدى "كوميورى" وقال له: لا اعتقد أن ذلك الشخص سوف يعترف لنا ويدلنا على مكان "يوشى تسونيه" إذا استخدمنا معه وسائل التعذيب. ليس هناك إلا أن نجعله يعترف من تلقاء نفسه. اتركنى استدرجه واضحك عليه فأعرف منه مكان "يوشى تسونيه" ثم أخبرك به".

سر "كيوموری" كثيرا حين سماعه ذلك وأعجب بكلام الرجل وقال له: "يجب تنفيذ هذه الفكرة. فأحسن تنفيذها وانتزع منه الحقيقة. أما هديتك فأى شئ ستطلبه سأحضره لك". وهنا حادث "كيتشى ناى" نفسه قائلا: "إذا جعلته يعترف فإننى أرغب فى الحصول على الأرض الملحقة بالقصر الامبراطورى.. ولكن فى حالة حصولى على تلك الأرض، من ياترى أعينه للإشراف على الأرض وأرسله إليها"!! وهكذا أخذ يسرح بخياله وفكره فيمن يعينه للإشراف على الأرض.. فياله من أمر يدعو للدهشة والعجب.

محاولة خداع "كيتشى ناى" لــ "بنكى"

وبعد مرور بعض الوقت قام "سينواووه" بحمل قدر طويل ملأه بما لذ وطاب من الطعام والشراب إلى مبنى القصر.

وبعده مباشرة جاء "كيتشى ناى" إلى إحدى غرف القصر التى اقتيد إليها "بنكى" والتى وضع بها قدر الطعام والشراب ثم بدأ يدعو "بنكى" إلى الطعام، وقد حادث "بنكى" نفسه قائلا: لقد صار لى فترة طويلة أروم خلالها الجبال والوديان دون مأوى ولم أصادف خلال تلك الفترة حفاوة ولا - احتفاءً مثل هذا. إنها مكافأة السماء لأننى استرخصت حياتى فى سبيل معلمى وفى سبيل سيدى أننى كنت أتوقع تعذيبا يعطينى دفعة للهرب، ولكن ها هو المأكل والمشرب الذى سيعطينى عافية اقتل بها هؤلاء الحراس واحدا بعد الأخر فأعود إلى مقر سيدى "يوشى تسونيه".

ولما كان "بنكى" أكولا نهما بطبعه فقد انكفأ على الأكل يزدرده

دون رأفة ولا توقف. أما "كيتشى ناى" فقد حادث نفسه قائلا: "حسنا.. الفرصة سانحة الآن" ثم لعق شفتيه وتصنع الهدوء والاسترخاء وعدم الكلفة لكى يعطى الراحة النفسية لـ "بنكى" للحديث معه.. ثم اقترب من "بنكى" فقال له "بنكى": "لم أكن أعلم أننى سأكلفك ذلك التعب أعذرنى فلعدم اختلاطى بمجتمعات النبلاء فإننى لا أعرف ساموراى عشيرة الـ "هيكى".. فمن تكون منهم يا ترى" ؟ فقال "كيتشى ناى": "اسمى كيتشى ناى، وقد كان هناك أمر أريد أن أحادثك بخصوصه مباشرة فقطعت الطريق حتى وصلت إلى هنا فقال "بنكى": "خيرا.. أى أمر يا ترى"؟ قال "كيتشى ناى" قد يكون ما سأذكره لك أمر مصيب، ولكننى أجرت رجال الـ "هيكى" من باب الشكليات أننى قريب لك من ناحية أمك، ولأن الرفاق هنا يعلمون بهذا الأمر فقد شعرت بالحرج لو تدخلت فيما بينك وبينهم.. كما أننى كنت مشغولا بأمور كثيرة حينما حضرت أنت إلى القصر.. وبينما كنت مترددا فيما إذا كنت سأحضر أم لأمر الوقت ولم أقم بزيارتك إلا الان. أما فى قصر "روكوهارا" فقد كان هناك اجتماع لمناقشة أمر "بنكى" وقد قال "كيوموري": "فلنقتله" وهنا أعرب "قوماتسو" ابن "كيوموري" عن رأيه فى الموضوع مثلما كان يفعل دائما.. فقال: "لقد كانت العشيرتان فيما مضى مثل جناحين لطائر واحد فإذا حدث شئ لـ"جنجى" كانت عشيرة لـ "هيكى" تسارع بمديد العون، وإذا ألم أمر عظيم بـ "هيكى" كانت عشيرة الـ "جنجى" تعالجه وتخففه. كان ذلك حينما كنا صغارا. حينما كانت الدنيا بسلام وأمان بدون حرب ولا اضطرابات، ولقد ساءت العلاقة بين العشيرتين بعد

نشوب الخلافات بين الامبراطور "سووتوكو" وأبيه "طوبا" ووقتها منيت عشيرة الـــ "جنجى" بهزيمة من عشيرة الـــ "هيكى" فابتسم الحظ لنا وذقنا نشوة المجد. ولكن بالرغم من هذا فبدون وجود طرف من الطرفين يكون بمثابة طائر بجناح واحد. وخاصة وقد ظهر "يوشى تسونيه" الان بما لديه من فنون ومهارات فى القتال فقد يلتف حوله كل أبناء عشيرة الـــ "جنجى" المتفرقين فى البلاد.. وإذا حدث ذلك فما بالك بما قد يحدث لعشيرتنا؟ سواء كان الأمر إفناء فهو خسارة فى كلتا الحالتين ولن يكون هناك فى النهاية هازم أم مهزوم، وإذا استمرت حلقه الثأر والانتقام هذه فلن يكون لها حد ولا نهاية، أما إذا قابلنا الإساءة بالإحسان فسوف نكسب بذلك على العكس ثوابا عظيما. فلنجعل (يوشى تسونيه) يستقر بمدينة "كاماكورا" فى الشرق لنمنح عشيرة الـــ "جنجى" الثلاث وثلاثين مقاطعة الواقعة شرق بوابة تفتيش "مايبارا" - منتصف جزيرة "هونشو" أكبر جزر اليابان - فتعود بذلك العشيرتان إلى سلطتهما المتوازنة المتعادلة والتى عهدتها من قبل، فإذا حكمنا البلاد بهذه الصورة فسوف يعود الخير والمجد على كلينا وسوف يمتد حتى يعم أبناءنا وأحفادنا، وإن الافتخار بنصر مؤقت دون إدراك ما سيحدث بعد ذلك من عواقب لهو ضرب من الحماقة. أعلم يا "كيومورى" أنك إذا لم توافقنى على رأيى هذا فلن أسديك أى نصيحة بعد اليوم".

فلما سمع "كيومورى" ذلك طاوع "قوماتسو" وبعد قليل انضم باقى كبار رجال العشيرة إلى "كيومورى" وأجمعوا على أن هذا هو الرأى الصواب. ولذلك فهم يسألون عن مكان "يوشى تسونيه"

لكى يجعلوه يتفهم موقفهم وأننى أقول لك هذا أيها الراهب من أجل خاطرك. أما ما بعد ذلك من تحديد مصيرك فى هذه الدنيا لهو متوقف على موقفك ورد فعلك تجاه ما قلته لك".

وهنا أومأ "بنكى" برأسه قائلا "شاكر لك أفضالك.. إنه لمكسب كبير لى أن أجد لى فى كل مكان أحد الأقرباء. من كان يا ترى سيأتى إلىّ ويفضى لى بتلك الأسرار كما فعلت معى. لقد كنت إن اجلا أو عاجلا سأضطر للاعتراف لكم بمكان "يوشى تسونيه" فتعاقبونه بالنفى أو الإعدام، وذلك إذا استخدمتم معى وسائل التعذيب، فأنا بشر ولست حديدا ولا حجرا. بل أنكم تعرضون أن تمنحوا "يوشى تسونيه" ثلاثا وثلاثين مقاطعة ليحكمها.. وساعتها سوف أنال منها أربع أو خمس مقاطعات.. يا سلام يا أخى.. ما أحلى أن يكتشف المرء خلال صراع معين بأنه من بين أعدائه يوجد قريب له فيتحول العداء إلى محبة: حسنا سوف أفضى إليك أنت بالسر على أن نتواعد إلا نعلم أنسا ولا جنا به".

. سر "كيتشى ناى" كثيرا حين سمع ذلك من "بنكى" وقرب جبهته من جبهة الاخر كثيرا حتى كاد يتلصق بها، ثم شرع يسأل "بنكى" مرة ثانية بصوت خفيض لا يكاد يسمع قائلا: "حسنا.. أين يختبئ "يوشى تسونيه"؟

فرد "بنكى" قائلا: "بعد كل هذا لم يعد هناك مجال لإخفاء الأمور. حسنا أن "يوشى تسونيه" يقبع فى مكان ما تحت سماء اليابان"!!

حين سمع "كيتشى ناى" جمله "بنكى" هذه استشاط عضبا وقال "ماذا تقول أيها الراهب.. هل تسخر منى"؟ فقال "بنكى" حين قلت

"اليابان" كنت أبدا من التسمية العامة للمكان الذى يوجد به "يوشى تسونيه" وكنت أعتزم أن أسترسل فى الكلام لأخبرك عن أى مقاطعة من بين المقاطعات الـ ٦٦ يوجد بها، ثم وأى قرية.. ولكنك لم تمهلنى وها أنت لم تتحكم فى أعصابك وغضبت.. دعنى أخبرك بالتفاصيل". وهنا أستجمع "كيتشى ناى" أعصابه وقال لـ "بنكى" "إذا كان هذا ما تقصده فأننى أحلف بحياتك أننى لن أبوح بسر مكان "يوشى تسونيه"، وأننى ما غضبت إلا من أجلك، وإذا كان هناك شئ يجب نقله إلى "يوشى تسونيه" منى أو من أى أحد اخر من هذه الدنيا فيجب أن يكون عن طريقك، وبالعكس إذا كان هناك شئ ما ينقل لعشيرة الـ "هيكى" فيجب أن تخبرنى به أولا" فقال "بنكى" هذا أمر لاخلاف عليه.. فعلى أى حال لن أشعر بالأمان والاطمئنان إلا إذا كنت خلف شخص مثلك. وسوف يسرنى من الان فصاعدا أن تسدينى نصائحك"، ثم شحك "بنكى" من قلبه.. فلما راه "كيتشى ناى" على هذا الحال سر كثيرا وقال "حسنا: أين يوجد "يوشى تسونيه" ولكن "بنكى" هز رأسه إلى اليمين وإلى اليسار ورفع برأسه إلى السماء قائلا: "إنه يوجد فى مكان ما تحت هذا السحاب"!!

ولما كان "كيتشى ناى" من طبيعته سرعة الغضب فقد يئس من أمر "بنكى" وزعق فيه قائلا: "ما هذا. أما زلت مستمرا فى الاستخفاف بى"؟ فقال "بنكى": "سيدى.. إننى لا أقصد أن – أستخف بك، إلا تعلم القاعدة التى تقول إنه إذا سئل المرء مقدار سهم أجاب مقدار سهم وإذا سئل قيراطا أجاب مقدار قيراط، وأنى لى أن أتحداك وأعارضك وأنت الذى لا يستطيع أن يعارضك

أحد" وبعد أن أنهى "بنكى" جملته ضحك ساخرا.. أما "كيتشى ناى" فكاد يقتله الغيظ، ولكن لم يكن بيده شئ فقد قام واقفا وقفل عائدا يجر أذيال الخيبة. وقد مثل "كيتشى ناى" بين يدى سيده "كيوموری" وحكى أحزانه وشكا له حسرته وأخبره بأنه بعدما أنفق من المال والشراب لم يجن سوى السخرية المرة. لقد فقد "كيتشى ناى" هيبته أمام صغار القوم من العشيرة.

لم يصدق أحد أن رجلا مثل "بنكى" يأتى بقدميه إلى صفوف أعدائه ثم يخدع واحدا من وجهاء القوم مثل "كيتشى ناى" لقد ضحك نبلاء وجنود العشيرة مستهزئين به.

أما "كيوموری" فقد قال لـــ "كيتشى ناى": كنت أتوقع من البداية أنه سيخدعك ويراوغك.. ومن حسن الحظ أنه بين أيدينا، إذن فلتقطعوا رقبته على الفور".

وهكذا التف جمع غفير من العسكر حول "بنكى" وخرج إلى تلك المنطقة وهى منطقة "روكو جووه جاوارا" جمهرة كبيرة من عامة القوم وعليتهم يريدون أن يشاهدوا تنفيذ الإعدام فى "بنكى" ولكى يظهروا "بنكى" للجميع وهو يعدم فقد أجلسوه فوق مكان مرتفع غطوه بأغطية من الجلد وجعلوا وجهه متجها ناحية الغرب. وقد طلب "كيتشى ناى" أن يقوم هو نفسه بتنفيذ حكم الإعدام انتقاما من "بنكى" الذى أهانه إهانة كبيرة ولذلك فقد حضر إلى المنطقة بصفة منفذ الحكم.

وحين حضر "كيتشى ناى" دار "بنكى" بعينيه الحادتين محملقا فى جميع الاتجاهات وقال: "لأننى راهب.. فحين أجلس فى مكان مرتفع يكون ذلك المكان بمثابة منبر الوعظ، وأنت يا "كيتشى ناى" لقد جئت لتنفيذ حكم الإعدام فىَّ ولكنك كلما اقتربت منى كنت أبدو هنا وأنا فى مكانى المرتفع هذا كأنى سيدك وكلما كان يبدو هذا الجمهور وكأنهم مصلون حضروا للاستماع إلى وعظى يا "كيتشى ناى" دعنى أبدأ الوعظ فيبدو أن الناس يتعجلوننى وقد سئموا من الانتظار".

حين سمع "كيتشى ناى" ذلك قال: "يا لها من فصاحة راهب أحمق.. أما كان الأجدر بك أن تقرأ بعض التراتيل لـــ "بوذا"

وأنت على عتبات الموت بدلا من ذلك الهراء الذى تقوله"؟. فقال "بنكى": "إذا كان قلبك على لدرجة أنك تنصحنى بالصلاة لـ "بوذا" ما حق لك أن تقطع رقبتى"، ثم انطلق يقهقه ضاحكا. ولكن "كينتشى ناى" استمر فى نصائحه قائلا: "ما الذى يضحكك بحق الالهة؟ إنك تريد أن تخفى ضعفك وخوفك بمجد زائف وشجاعة وقتية لن تلبث أن تزول.. أنك تشعر الان بالندم لأنك سوف تترك العاصمة التى تحبها وتتعلق بها. عليك أن تترك الغطرسة والمكابرة اللتان تتمسك بهما منذ وعيت على هذه الدنيا وتعى جيدا بأنه ليس أمامك سوى فرصة واحدة الان لكى تقوم بصلاتك الأخيرة لـ "بوذا". أنه لمن دواعى الدهشة ألا تحزن فى الوقت الذى من المفروض أن يحزن فيه الإنسان، وتنتحب فى الوقت الذى من الطبيعى أن ينتحب فيه الإنسان. أترك يا "بنكى" غرورك وتظاهرك وكن صادقا مع نفسك وأدخل فى رحمة "بوذا".

وهنا أطرق "بنكى" برأسه وقال: "يا للخزى.. اسمعنى يا "كينتشى ناى".

لقد ورد فى مذكرات الوزير "شووتو كوتايتشى" -- فى القرن السادس الميلادى – أنه عندما ما تحين الساعة فسوف يرتدى عامة القوم عباءاتهم ويجلسون على المقامات العالية وحين يقومون بإلقاء الوعظ سوف يحصن الرهبان أجسامهم بالدروع ويكلفون بواجب القتال. وأنا "بنكى" بالرغم من أننى راهب إلا أننى قاس وعديم الرحمة وبين ضلوعى وحتى الان أحمل قلبا غيضا. وأما أنت.. فأنت من العامة، ومع ذلك فأنت عالم بكل ور الدين البوذى وأننى على حالى هذا كونى أتلقى الوعظ

والهداية منك لهو أمر غير مشرف بالنسبة لي.. لقد صلى "بوذا" وهو طفل للشيطان فتعلم منه فقرتين من التعاليم الأربعة، وحين كبر "بوذا" صلى للثعلب وجعله معلمه. فحتى لو كان المرء من العامة فلا عجب أن يكون هو صاحب المنطق والعلم والحق. وحين يصير مبدأ المساواة والتوازن بين الناس فى صورة غير نظيفة فلن ينفع الدين وسيصير المحافظ على الكتاب البوذى ومبادئه كالقابض على الجمر، فحتى لو كانت سلوكيات المرء قد بلغت أسوأ وأوضع الحالات فلن يتعدى موقفه إلا أن يكون في انتظار انتقاله إلى العالم الاخر الذى سيحين بعد لحظات للقاء "بوذا" هناك. فقال "كيتشى ناى": "ومع ذلك ليس لك حجة يجب أن تصلي فورا لــ "بوذا". فرد عليه "بنكى" قائلا: "عن أى صلاة تتكلم يا "كيتشى ناى" هل هى صلاة المعلم "سينشووه" أم صلاة المعلم "شيزان" أم هى صلاة المعلم "جيشووه" أو صلاة جماعة مذهب الــ "زن". هناك صلوات كثيرة لمذاهب مختلفة فأيهم تقصد ؟ ثم قهقه "بنكى" ضاحكا.

فاغتاظ "كيتشى ناى" وصاح قائلا: "لن أجعلك تسخر منى بعد الان". وكان وهو يقول ذلك يقوم برفع ذيل قميصه ويحشره فى جنبه، ثم رفع كذلك ذيل تنورته إلى أعلى واستل سيفه فى خفه واستدار ليقف خلف "بنكى" الذى ألتفت براسه وقال ساخرا من "كيتشى ناى": "اخفتنى يا رجل بسيفك الوماض هذا أمن معدن هذا أم من الثلج؟ وإذا كان من الثلج ألا يكون باردا على يدك حين تمسكه"؟

فكز "كيتشى ناى" على أسنانه وقال: "إذن فلأكسره على رأسك"

ثم قبض بقوة على مقبض السيف وهوى به على "بنكى" ولكن الأخير خلا منه فى غمضة عين، فنزل السيف على حجر فحطمه وعندما شرع "كيتشى ناى" فى أن ينزل الضربة الثانية صاح قائلا: خذ هذه ولكن "بنكى" هب واقفا إلى الأمام فى لحظة قدر أربع أو خمس خطوات، ففزع الناس المجتمعون وصار هرج ومرج وهرولوا هنا وهناك. أما "كيتشى ناى" فقد اعتدل فى وقفته مرة أخرى ثم بدأ يجرى ملاحقا "بنكى" وهو يقول: "ياللمصيبة.. إن "بنكى يهرب" وهنا حدث أمر يدعو للأسى.

لقد كان هناك ولد لــ "كيتشى ناى" اسمه "جورووه هيووايه" وكانت قوته تماثل قوة ستين رجلا. وقد كان معروفا بشجاعته وفتوته، وكان يحتفظ بحبل باستمرار فى حزامه من الخلف، وقد حذره أبوه وهو يطارد "بنكى" قائلا": "بنكى" ليس كبقية البشر فلا تخفق وتجعله يهرب منك".

فحين سمع الابن جملة ابيه رمى الحبل ليلتف حول خصر "بنكى" فوق الحزام الذى كان يربطه، ولكن "بنكى" كان سريعا فى عدوه منذ وعى على هذه الدنيا.. وكان فى عدوه يشبه النمر وكان من الصعب على بشر أن يلحق به، وقد كان الابن يريد أن يخلع السيف من خصر "بنكى" بجذبه بالحبل ولكن حين توقف الابن للحظة وهو يشرع فى جذب الحبل لم يستطع أن يوقف "بنكى"، وصار المشهد كأنه عربة عجلاتها من حجر تتدحرج من نفسها بحذاء النهر، أو كأنه كان وتدا مربوطا إليه جواد هائج فخلعه وجرجره على الأرض - فأخذ ينقلب تارة على جنبه وتارة على وجهه، فارتطمت رأسه بالأحجار وفارق الحياة وهو شاب صغير

فى السابعة والعشرين من عمره وهكذا فالدنيا فانية لا تدوم.

وقد صلى "بنكى" قائلا: "الرحمة عليه وليصير فى كنف الإله "فونجو ريكيشى" إله جبل "أو ومينيه" منقذ الموتى صغار السن"، ثم فرد "بنكى" ذراعيه وبقوة مزق الحبل الذى كان مربوطا حول خصره ثم أخذ يلتقط الأحجار المتناثرة على ضفة النهر ويقذف بها جنود "كيومورى"، وقد صارت الأحجار من قوة اندفاعها وسرعتها كالسهام التى يطلقها جنود مفتولى السواعد، فكانت حين ترتطم بالجنود تقتلهم على الفور.

وكانت الأمطار فى تلك الفترة قد هطلت بغزارة لعدة أيام متوالية ففاضت مياه النهر وصار المجرى عميقا عن المعتاد. وقد قفز "بنكى" إلى ذلك النهر فتجمع الجنود وركبوا خيولهم واندفعوا جميعا ناحية المكان الذى قفز إليه ثم توجهوا إلى ناحية مصب النهر حيث تنجرف المياه وأخذوا يروحون ويغدون عند شاطئ النهر يبحثون عن - "بنكى" وسط المياه، ولكن "بنكى" كان قد سبح عكس تيار الماء الهائج ناحية أعالى النهر لمسافة حوالى ٧٠٠ متر حتى وصل إلى سد صغير مقام على النهر، فتسلقه وصاح بصوت "عال" قائلا: "إننى هنا إذا كنتم تبغوننى فتعالوا إلىَّ حيث أكون هنا أيها الفرسان).

فتجمع الجنود عند الشاطئ واتفقوا فيما بينهم على أن القتال مع "بنكى" وجها لوجه بالسيوف والخناجر لن يكون فى صالحهم ولذلك فقد أخرجوا جميعا سهامهم من جعابها وأخذوا يقذفونها كالأمطار فى اتجاه "بنكى" الذى أخذ يقفز ويرقص فى مكانه يتفادى السهام المرتفعة والمنخفضة دون أن يصيبه سهم واحد.

وهنا صاح "بنكى" قائلا: "قد يكون الوقت قد حان لكى أنهى حياتى بنفسى هنا - ولكنى أطلب منكم إذا حدث ذلك أن تنقلوا منى رسالة إلى "كيوموری".

وهنا توقف الجنود عن رمى السهام لكى يستمعوا إلى "بنكى" الذى استمر فى كلامه قائلا: "لقد استفدت من ثلاثة أمور بمجيئى هذه المرة إلى قصر "روكوهارا" الأمر الأول أننى أنقذت معلمى الراهب واعدته إلى الجبل، والأمر الثانى أننى تعرفت على وجوه كبار عشيرة الـــ "هيكى" وحفظتها بدءا من "كيوموری"، والأمر الثالث أننى جعلتكم ترون تصرفاتى وسلوكى وحركاتى، ولذلك فقولوا لرؤوس الـــ "هيكى" إنه لا مناص لهم من الاختباء والاختفاء، فبعد أن حفظت وجوههم لو كتبت لى النجاة فسوف أزحف إليهم مع سيدى "يوشى تسونيه" وأقطع رؤوسهم لا محالة، أن هناك من يقولون بأن المرء إذا صار يجمع الكنوز الكائنة بأعمق أعماق الأرض فسوف يجد لها فى يوم من الأيام نهاية، أما أبناء عشيرة الـــ "هيكى" فهم من يمكن أن يقال عنهم إنهم من لا ينتهون ولا يشبع المرء من الاستمرار فى ذبحهم".

فغضب الجنود حين سماعهم هذا الكلام وصاحوا قائلين: "أرشقوه بالنبال" وعادوا كلهم مرة أخرى إلى قذفه بأمطار سهامهم، ولكن بنكى "كان قد تعلم من "يوشى تسونيه" فن وحيل الإفلات من السهام، فصار يزوغ منها فى خفة ورباطة جأش... ولم ينجح ولا سهم واحد فى إصابته ثم قفز "بنكى" مرة أخرى إلى النهر وسبح حتى المكان الذى يقف عنده جنود الأعداء عند شاطئ النهر. وخرج من النهر إلى الشاطئ دون أن يشعر به أحد

منهم، فأخذ يجمع سيوفهم وأسلحتهم التى تركوها خلفهم ثم صاح وهو يقفز وسط صفوفهم: ألم تسمعوا بـــ "بنكى" ويحا لكم ألا تقوموا بالترحيب بى واستضافتى بالرغم من أننى تنازلت وجئت حتى عندكم ثم فرد ذراعيه بالسيوف وأخذ يدور بسرعة فى جميع الاتجاهات وكأنه قد صارت له عشرات الأذرع مثل العنكبوت يقطع رؤوس الأعداء حتى تعالى صياحهم قائلين: "حتى ولو كان عدونا الشيطان نفسه فهو لا يتعدى أن يكون واحدا فقط أما نحن فكثيرون.. أقتلوه.. أقتلوه"..

وبينما شرع الجنود فى صد هجوم "بنكى" عليهم تكونت فجأة شبورة مفاجئة فوق النهر فلم يعد الجنود يميزون شرقهم من غربهم فأخذوا يضربون عشوائيا بالسيوف فقتل بعضهم البعض وفقد منهم الكثير. وقد قال "بنكى" فى نفسه: "إن ما يحدث الأن هو انتقام الالهة مما اقترفوه من ذنوب" ثم أخذ يراقب من بعيد الجنود وهم يذبحون بعضهم البعض.

وبعد ذلك استراح لبعض الوقت ثم بدأ سيره عائدا فى اتجاه الشمال.

لقاء "بنكى" بـــ "يوشى تسونيه" مرة أخرى

حينما مثل "بنكى" بين يدى "يوشى تسونيه" قال له: هاقد وصلت الآن يا سيدى لقد نفدت بحياتى بأعجوبة فرد "يوشى تسونيه" قائلا: أعلم ذلك "فقد عدت لتوى من منطقة "روكوجووه جاوارا" - بمدينة "كيوتو" ولكن "بنكى" لم يصدقه: وقال "إنك تمزح.. أليس كذلك" ؟ فقال "يوشى تسونيه": "إذن فتحكم أنت إذا كان ما قلته لك حقا أم كذبا. سوف أحكى لك ما فعلته يا "بنكى" وما حدث لك منذ أن خرجت من هنا حتى رجعت مرة أخرى. لقد عرجت فى البداية على كوخ صديق قديم لك تركت عنده السيف وغيره من الأسلحة التى كنت تضعها فى حزام البطن الخاص بك.. ما رأيك؟ وبعد ذلك حشرت نفسك وسط جنود الأعداء وأنت مجرد من السلاح لا ترتدى سوى زى الرهبان ثم أعدت المعلم "كيشين" إلى الجبل، ثم ربطوك بالحبال واقتادوك إلى قصر "روكوهارا" وعندما حاولوا أن يجعلوك نركع أمام سيدهم "كيوموري "وقفت لهم وقفة الأسد، وقد سمعتك وأنت تسخر من "كيوموري" وعندما فاض بهم تكاثروا عليك وحاولوا أن يجروك، ولكنهم لم يفلحوا.. ثم ساومتهم بأنك ستتركهم يجرونك إذا أخبروك بأسماء رؤساء العشيرة.. ألم تفعل ذلك؟ وبعد ذلك جاء إليك "كيتشى ناى" حيث كنت محتجزا عند "سينواووه" وحاول أن يسألك عن مكانى فسخرت منه.

لقد كنت أرى كل ذلك ورأيت "كيتشى ناى" وقد استشاط غضبا وعاد يجر أذيال الخيبة. ولقد فكرت أن أطيح برأس "كيتشى ناى"

حين كان على وشك أن يهوى عليك بسيفه عند ساحل النهر فى "روكوجووه جاوارا"، ولكننى أقلعت عن الفكرة حين أحسست بأنه لن يستطيع قتلك.

لقد كانت الضربة الأولى التى أفلتت ومنظره بعدها مثيرين للضحك والسخرية، وكان إفلاتك منه وهربك بسرعة حين هوى عليك بالضربة الثانية لهو ضرب من ضروب المهارة الرائعة ولكنى حزنت على ابنه "جورووه هيووايه" حين حاول إمساكك بالحبل ولم يستطع فانجر على الأرض ومات. ولقد كان منظرا ممتعا ذلك حين قفزت إلى النهر وسبحت حتى سد الأحجار ثم وقفت فوقه وأخذت تفلت من السهام المطلقة عليك، ثم بعد ذلك عندما طلبت منهم أن ينقلوا رسالة إلى "كيومورى" ثم قفزت مرة أخرى إلى النهر، ثم بعد ذلك حين فقدوا الكثير من جنودهم وسط الضباب.. لقد كانت خسارتهم هذه جزاء ما اقترفوه من الجرائم والذنوب. وعندما تراءى لى أن ساموراى !! الـــ "هيكى" عاقدون العزم على القصاص منك وأن السهام سوف تصيبك قمت بعمل حيلة أثارة الضباب.. وهى حيلة من أكثر الحيل العسكرية سرية"

وقد قهقه "يوشى تسونيه" بصوت عال حين انتهى من كلامه.. فأذرف "بنكى" دموعه وهو يقول: "إننى لاشكر لك متابعتك لى كظلى وتحملك المخاطر فى سبيل حماية إنسان مثلى.. ولكن أعلم يا سيدى أنه حتى وأن كانت تفصل بيننا بلاد وحتى وإن قاتلت جحافل الجيوش فإننى سأقاتل وفى اعتبارى أنك قريب منى ترانى، وسأقاتل بشجاعة ودون رهبة أو تخاذل فما فعلته يا سيدى كان أمرا مرهقا لك وما كان بحق لك أن تفعله".

واستمر "بنكى" فى البكار متأثرا من خوف سيده عليه.. فتأثر "يوشى تسونيه" هو الآخر وحبس دموعه وهو يقول بصوت متحشرج: لقد كنت طفلا حين قتل "كاماتاما ساكيو" رفيق أبى.. ولو كنت بالغا ساعتها لما حدث ذلك. لم يكن لـــ "ماساكيو" أن يقتل.. فلو كان حيا الان لصرت اعتمد الان على رجلين.. "بنكى" و"ماساكيو" ولصرت قادرا على إفناء عشيرة الـــ "هيكى" وتحقيق ماربى فى سهولة ويسر ثم رفع "يوشى تسونيه" كم معطفه وغطى وجهه كى يحبس الدموع.. وهنا ازداد إعجاب "بنكى" بسيده.

أما "كيومورى" فحين وصلته أنباء هروب "بنكى" فقد أحدث ضجة كبيرة وأقام الدنيا وأقعدها وقال: "لقد كنت أحس بكابوس جاثم على صدرى عندما كنت أعلم أن "يوشى تسونيه" وهو رجل واحد يقف ضدنا.. فما بالك الان وهناك مثيل له قد انضم إليه وهو ذلك الـــ "بنكى" الذى وقف وحده أمام العشيرة كلها يريد القضاء عليها بحيلة العسكرية التى أجادها ومنها إثارته للضباب والاختفاء داخله؟ هل عليّ الان أنا وأولادى أن نبتعد عن الأنظار ونختفى فى مكان ما؟

فقال ابنه "قوماتسو": عندما اقتاد الرجال "بنكى" إلى حديقة القصر ورأيت نظرات عينيه الحادة وقدرته على قطع الحبال المكتف بها أحسست بإصراره على قتالنا.. ولذلك فقد قلت لرجالنا وقتها: "أيها الرجال.. خذوا حذركم" واخر الأمر أحسست بطيف "يوشى تسونيه" يحضر إلى الحديقة ويراقبنا ويثير رياحا ساخنة فيذروا بها رمال وحصى الحديقة. فلنترك قدر عشيرتنا إلى الالهة ولنسلم لها الأمر ولنقم بعمل ما هو عدل وحلال، فطالما كانت

السماء تحمينا لن يكون لحيل "يوشي تسونيه" العسكرية أى تأثير. إنما الدأب على ممارسة السلوك القويم وتعميق الإحساس بالرحمة تجاه الأخرين لهو فى حد ذاته المغزى الحقيقى لإتقان أى فن للقتال، وإذا كان قدمات من رجالنا ثلاثون أو خمسون فليست القضية قضية عدد.. فكل من ماتوا كانت معنوياتهم خاوية، ولو بقى منهم واحد على حاله هذا من الكسل وعدم الاكتراث نحمد السماء على أنه لم يلحق بالآخرين.. ولكن لم يكن هناك من غضب من أمر "قوماتسو" أكثر من "كيتشى ناى" الذى أثار حنقه عدم اكتراث "قوماتسو".. "كيتشى ناى" فقد ابنه.. وأكثر من ذلك فقد ضاعت هيبته وشرفه.

وهكذا صار "بنكى" يفكر ويتدبر فى أمور العباد وسأل "يوشى تسونيه" ذات مرة قائلا: "لو كنت حين حضرت إلى قصر "روكوهارا" قد أخبرتنى بمجيئك استطعنا أن نقتل "كيوموری" لماذا لم تخبرنى"؟

فقال "يوشى تسونيه": حسنا لقد كنت أنوى أن أفعلها حين ذهبت إلى هناك ولكن حين دخلت الغرفة التى وجد بها "كيوموری" وأجلت النظر فى وجوه الحاضرين واخترت اللحظة المناسبة للانقضاض وقبضت على مقبض السيف لمحت فجأة "قوماتسو شيجيه مورى" يجلس هناك يلف السيف الذى لا يعرف الرحمة بثوب الرحمة والعطف وينظر إلى فى غضب وعدم رضاء من أعماق عينيه وكأنه لا يصدق أننى على وشك أن أقوم بما كنت أزمع القيام به، فجأة رأيت فوق رأسه شيئا ما وكأنه شعلة من اللهب تعلو وتطول وداخل تلك الشعلة استطعت أن أميز الآلهة

"كاننون" ذات الألف ذراع تقف بطول حوالى ست أو سبع بوصات وقد راجعت نفسى لحظتها وقلت إننى حتى وإن قتلت "كيومورى" فلن تطاوعنى يدى على أن أقتل "قوماتسو شيجيه مورى"، وحتى ولو قتلت كل رؤوس عشيرة الـ "هيكى" وبينهم "قوماتسو شيجيه مورى" فسوف أنال بذلك ماربى مؤقتا، ولكن "قوماتسو" هذا رجل قديس ولذلك لم أكن لأسلم من عيون الناس ونظرتهم لى على أننى رجل شرير، ولو حدث ذلك لقامت الألهة بحماية روح "قوماتسو" وفى المقابل تتركنى وتتخلى عنى.. وهو موقف بغيض مخز لم أكن لاقفه فى يوم من الأيام" فقال "بنكى" "إلى متى يطول عمر "قوماتسو" حتى ينتهى بنهايته مصير عشيرة الـ "هيكى" كلها"؟

وهكذا اعتاد بعد ذلك "يوشى تسونيه" أن يصطحب "بنكى" ويذهب إلى العاصمة "كيوتو" فيقيمان الصلوات معا للأله "بوذا" وكان حين يتصادق ويقابل "بنكى" واحد ممن يعرفهم فى طرقات "كيوتو" كان يركله أو يضربه أو يدوس عليه، وبعد أن يهرب "بنكى" كان الناس يتناقلون ما حدث، وكان يحدث هرج ومرج بالعاصمة. وكان "كيومورى" فى كل مرة يقول: "سواء كان "يوشى تسونيه" أو "بنكى" فكل منهما ضال ومارق ومهما خسرت من رجالى فسوف أنال منهما فى النهاية فحتى الحد الأكبر لقوم الـ "خان" بالصين[1] لم ينفعه سيفه ذو الثلاثة أقدام حين حان

---

[1] كان هناك إمبراطور لبلاد الـ "خان" بالصين طلب يوما من أحد الحدادين أن يصنع له سيفا ذا مواصفات خاصة، فقام ذلك الحداد بصنع نسختين وخبأ سيفا عنده، ولكن الإمبراطور اكتشف الأمر حين أخبره أحد العرافين قرأ الطالع فعاد إلى الحداد وقتله انتقاما منه. إلا أن الإمبراطور

قدره. هذه الأيام يرد إلى مسامع عشيرتى بكثرة أن ذلك الواجب قتله المسمى "يوشى تسونيه" ابن القتيل "يو نى طوموه" يحضر مع رفيقه كل ليلة إلى العاصمة فيعربدان هنا وهناك، ويقولون ان "يوشى تسونيه" هذا ضئيل الجسم أبيض البشرة.. أما "بنكى" فهو ضخم الجثة أسود البشرة. سوف أمنح جائزة مالية لمن يقتلهما لى أو يقبض لى عليهما".

وحينما ترامى إلى مسامع "يوشى تسونيه" و"بنكى" أن الكثيرين من البيض ضئال الجسم والرهبان ضخام الجثة وسود البشرة قد قتلوا، قرروا أن يرحلوا إلى الشمال حيث بلاد "أووشووه" حتى لا تزهق المزيد من الأرواح البريئة كضحايا لأعمالهم، وذلك حتى تعود الأمور إلى نصابها وتهدأ العاصمة. وفعلا توجها إلى العاصمة، وحينما رحلا كان "بنكى" يلبس زينته المعهودة، حين خرج بالقرب من العاصمة صاح قائلا: ها هو "يوشى تسونيه" وها هو "بنكى" ونحن متجهان إلى بلاد أووشوه، فلتقتلونا ولتحصلوا على المكافأة المرصودة".

ولكن كل من سمع "بنكى" أغلق باب بيته على نفسه، ولم يجرؤ أحد على الظهور أمامهما، وهنا قال "بنكى": "لن يمر مائة يوم حتى نعود ونذبح عشيرة الــ "هيكى" عن آخرها ونعيد السلام والأمن إلى العاصمة. ماذا حدث لكم يا أبناء عشيرة الــ "هيكى".. هل تستهترون بأوامر سيدكم "كيومورى" فلا تقتلونا نحن الاثنين ؟

لم يعثر على السيف، وحين كبر ابن الحداد ذهب بالسيف النسخة لكى ينتقم من قاتل ابيه، ونشب بينه وبين الامبراطور قتال فى نهايته طارت رقبتا الاثنين، ووقعت الرقبتان فى جرة من الجرار... وكأن طرف السيف فى فم الابن الذى نفثه بقوة لكى يقطع رأس الامبراطور تماما.

سوف تندمون فيما بعد.. سوف تندمون فيما بعد".

بعد أن انتهى "بنكى" من جملته توجه مع "يوشى تسونيه" إلى بلاد "أووشووه".

تجليات أدبية

رواية بنكي

سيرة شعبية يابانية

هذه السيرة الشعبية اليابانية معروفة جدا فى اليابان، ومعروف بطلها، وهو الراهب بنكى، الذى يختلف النقاد الاوروبيون والتاريخيون اليابانيون على تحديد هويته، و ما اذا كانت شخصية تاريخية تواجدت بالفعل، أم انها شخصية من صوغ الخيال؟

لكن على اية حال نستطيع من خلال شخصية البطل التعرف على حقبة هامة للغاية من تاريخ اليابان فى العصور الوسطى، وبالتحديد فى فترة الثلث الاخير من القرن الثانى عشر، حيث دارت هناك حرب اهلية طاحنة بين اكبر عشيرتين من عشائر الساموراى، وهما عشيرتى الـ غينجى وعشيرة الـ هيكى، وانتهت بانتصار العشيرة الأولى واستيلاء العسكر على السلطة الفعلية لليابان وتحجيم سلطات الامبراطور الى اضيق وأصغر حد.. وهو الوضع الذى استمر بوجه عام حتى منتصف القرن التاسع عشر وحتى عودة السلطة الفعلية الى الامبراطور.

والعمل المقدم هنا ليس مجرد ترجمة مباشرة من النص المكتوب باللغة اليابانية الكلاسيكية الى اللغة العربية.. وانما اجتهاد مضاف من أجل معالجة النص لكى يخرج فى صيغة تشابه صيغة السيرة الشعـ العربية، من حيث طريقة السرد واستخدام الوزن الكثير من المواضع. وتجدر الاشارة هنا الى مجهو البروفسير اليابانى هاسيه غاوا تاداشى والمتخصـ فى فن السيرة الشعبية اليابانية، فى المعاونة الدو للمترجم من اجل فك طلاسم ذلك النص الصعب، ا لم يترجم حتى الان الى اللغة اليابانية الحديثة!



ميريت للنشر والمعلومات